المنهج الفقهي لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

د. عبدالله بن محسن عبدالله الحضرمي

تخصص فقه و أصوله.

ISSN : 2410-1818

المنهج الفقهي لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

الملخص :

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على معلم البشرية المصطفى ، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فالمساجد هي أماكن ودور العلم النافع وخاصة المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة لأنهما منزل الوحي. وفي هذا البحث سيتم التركيز على المنهج الفقهي لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في تدريسهم الفقه عموماً وأقصد به فقه الأئمة الثلاثة أصحاب المذاهب المعروفة عبر القرون السابقة، وأخصّ الفقه الحنبلي الذي هو المعتمد في نجد وفي المملكة العربية السعودية بكافة مناطقها الرسمية حاليّاً. وأعني بعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف: من دَرَس وتعلّم فيهما أو بأحدهما، ودرّس الفقه فيهما أو بأحدهما. وليس بالضرورة أن يكون ساكناً بهما أو بأحدهما، وكذلك ليس بالضرورة أن يكون إماماً فيهما أو بأحدهما. ومن أهميته: إنّ مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المذهب المعتمد في بلاد الحرمين الشريفين ونجد وما حولهما من مناطق المملكة العربية السعودية. فهذا البحث من أهميته: أنه يسلط الضوء لطلاب العلم والمعرفة من كل أنحاء العالم العربي والإسلامي والعالمي وذلك من خلال ما يحتويهما من الفقه الحنبلي وغيره من العلوم الإسلامية والعربية.

إبراز المواد الفقهية المُدرّسة ولا سيّما دراسة كتب الحنابلة الفقهية المقامة في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في الغالب أو في أحدهما، كون ذلك لم يُجمع من قبل في دراسة مستقلة حسب اطلاعي. يركز على ما نتج عن هذا التطور الفقهي من نتائج علمية وثقافية ودعوية على بلاد الحرمين. ومن أسبابه: كثرة ما نراه في وقتنا الحالي من عزوف طائفة غير يسيرة من طلاّب العلم عن دراسة الفقه المذهبي ومنها متون الفقه وشروحاتها المذهبية ومختصراتها ،مما جعلني أبحث عن المنهج الفقهي لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وخاصة في كتب المذهب الحنبلي الفقهية وإثرائها والترغيب فيها. ومن الخاتمة أخلص إلى الآتي: وقد تمثّل المنهج الفقهي العام لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي في كونه منهجاً موسوعياً في جميع العلوم الشرعية وعلوم الآلة ومنها الفقه المذهبي على المذاهب الأربعة، و حتى في دراستهم كتب مذهبهم الفقهي الحنبلي لا يتعصبون له بل يتبعون الراجح من المذاهب حسب اجتهاد المحققين منهم في الغالب إذ لا معصوم إلا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه

ISSN : 2410-1818

وسلم. وخاصة أهل نجد والتي منها انطلق المذهب الحنبلي بعهديه قبل دعوة المجدد الإمام وبعده وانتشار كتبه – كالمغني والمقنع وزاد المستقنع والروض المربع وغير ذلك من الشروحات والحواشي - في مكة والمدينة والرياض وغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية. وهكذا استمر في منهجية موسوعية مقارنة حتى الآن تدرّس في الحرمين الشريفين. وكان أعداد الطلاب قليلة في القرون المتأخرة في مرحلة الكتاتيب والمدارس والأربطة ، التي بُنيت في الحرمين الشريفين أو القريبة منهما، أو التابعة لهما من حيث تعلمين الطلاب فيها وسكنهم، يصل عددهم ما بين ٤٠ - ١٠٠ طالب. أما الآن فأضعاف مضاعفة.

Abstract

The methodology of lslamic knowledge (Fiqh) of The scholars of The holy M osqueand The Sincere prophet mosque

Dr: Abdullah. Mohsen. Abdullah.Al. Hdrami.

Pre face pace praise de upon to Allah,The Lod oF The worlds, and peace and blessing be upon our sincere prophet and his Familu and comp an ions Mosq ues are places of usefe ful Knowledge and the most magni fi cent mosq ues are The Holy mosque inmecca and the sin cere prophaey ino At This research, The focus willbeupon the methodoloyy of The lslamic scholars of These luo mosq ues in teaching the lslamic kno wlege (fiqh) , the knowledge of teache three lslamic leaders of the fomous creeds during the past times especialy . the fiqh of lmam hanebel that is knoun in nagged and in sandi Arabia in genenal .

The lslamic scholars ofn the holg mosque and prophet mosque ore not only who live in, but also they are the students who have been studying and gelting knowledge here.

The importance of this research comes fromi its fowsing an hanabel fiqh and the other lslamic and arab knowledge for all student s in arab warld,over and above cmcentrates on the scien ific and cultural resultof fiqh defelop ment in the holy area what makis me focuc on fiqh context inmyresearch is the abandonment of many scholars stuofying the fiqh methodology for the scholars of iholy mosq ue and the prphet mosque and howto provide and supply the books of hanabel creed.

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على معلم البشرية المصطفى ، وعلى آله وصحبه أجمعين.**أما بعد:** فالمساجد هي أماكن ودور العلم النافع والعبادة والأخلاق وكل بر وخير، وخاصة المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة لأنهما منزل الوحي ، ومرتع لكل مسلم ومسلمة، ولاسيّما العلماء والدعاة وطلبة العلم عبر العصور كلها ، فلا تسل عن ضخامة إنتاجهما في سائر صنوف العلم وأقسامها ونوعية خرجيهما من القوة في العلم والجودة في الأسلوب والتحقيق وسعة الأفق ووفرة الاطلاع. وامتدت تلك المراكز التعليمية إلى شتى المساجد الإسلامية فدرس الحديث وعلومه ونبغ فيها من نبغ ، ثم دروس الفقه وأصوله وقواعده وتاريخ التشريع، أخذت حيزاً كبيرا من المساجد تدريساً وحفظ متون ومناقشات مفيدة وإفتاء وتأليفاً حتى اتسعت دائرة هذه المواد وتشعبت فروعها وكثر روادها ودرست على أرقى مستوى، فبرز فيها من برز، وتفوق فيها من تفوق، وجادت مراكزها بأعلام الفقهاء ونوابغ الأصوليين وشيوخ القواعد وعلماء التشريع الذين ألفوا ودرسوا وأوجدوا نتاجاً علمياً كبيراً. وهكذا الشأن في سائر العلوم الشرعية وعلوم الآلة. نعم ، إن المساجد في الإسلام ولاسيما الحرمين الشريفين دور علم ومدارس تعليم خرجت للأمة الإسلامية علماء أقحاحاً، وجهابذة نقاداً، وأساتذة نحاريرِ.وهذا كان شأن المسجد الحرام في مكة المشرفة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، يتوافد إليهما العلماء من كل صوب من بقاع الأرض كلها، لطلب العلم والاستقرار فيه تارة، وللعبادة من عمرة وحج وغير ذلك تارة أخرى، وفيهما يلتقي العلماء والفقهاء من كل مكان للمدارسة والمذاكرة والبحث والإفتاء. ومازال حتى الآن.

وفي هذا البحث سيتم التركيز على المنهج الفقهي لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في تدريسهم الفقه عموماً وأقصد به فقه الأئمة الثلاثة أصحاب المذاهب المعروفة عبر القرون السابقة، وأخصّ الفقه الحنبلي الذي هو المعتمد في نجد وفي المملكة العربية السعودية بكافة مناطقها الرسمية حاليّاً.

وأعني بعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف: من دَرَس وتعلّم فيهما أو بأحدهما، ودرّس الفقه فيهما أو بأحدهما. وليس بالضرورة أن يكون ساكناً بهما أو بأحدهما، وكذلك ليس بالضرورة أن يكون إماماً فيهما أو بأحدهما.

وإنما يدخل في المراد بعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف: كل من له علاقة مباشرة وغير مباشرة بهما أو بأحدهما من حيث تعلمه الفقه وتدريسه له وتأليفه فيه وسواء كان من أهل مكة أو من أهل نجد أو من المجاورين أو من المقيمين وغيرهم.

ISSN : 2410-1818

أهمية الموضوع:

١ - إن المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف يحتلان أهمية كبرى في نفوس المسلمين كونهما أول محضن إشعاع وحاضنة علمية وفقهية ودعوية وأخلاقية موسوعية انطلقت منهما رسالة آخر الرسل والنبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ - إنّ مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المذهب المعتمد في بلاد الحرمين الشريفين ونجد وما حولهما من مناطق المملكة العربية السعودية. فهذا البحث من أهميته: أنه يسلط الضوء لطلاب العلم والمعرفة من كل أنحاء العالم العربي والإسلامي والعالمي وذلك من خلال ما يحتويهما من الفقه الحنبلي وغيره من العلوم الإسلامية والعربية.

٣ - إبراز المواد الفقهية المُدرّسة ولا سيّما دراسة كتب الحنابلة الفقهية المقامة في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في الغالب أو في أحدهما، كون ذلك لم يُجمع من قبل في دراسة مستقلة حسب اطلاعي. يركز على ما نتج عن هذا التطور الفقهي من نتائج علمية وثقافية ودعوية على بلاد الحرمين.

أسباب الموضوع:

١ - كثرة ما نراه في وقتنا الحالي من عزوف طائفة غير يسيرة من طلاّب العلم عن دراسة الفقه المذهبي ومنها متون الفقه وشروحاتها المذهبية ومختصراتها ،مما جعلني أبحث عن المنهج الفقهي لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وخاصة في كتب المذهب الحنبلي الفقهية وإثرائها والترغيب فيها.

٢ - كون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف مركزين علميين عظيمين من مراكز التعليم والتدريس حيث جذب إليهما الطلاب من مختلف أنحاء العالم عبر مر التاريخ إلى يومنا هذا، ولذا فإنّ معرفة المنهج الفقهي فيهما سبب مهم من أسباب هذا البحث بحيث يطلع القارئ على هذا المنهج ويقتدي به، بعد تعلمه وفهمه.

٣ - اهتمام العلماء والخلفاء والحكّام والأمراء وغيرهم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف فأوقفوا عليهما مجموعات ضخمة من الكتب ليستفيد منها طلاب العلم ولاسيّما في عهد المملكة العربية السعودية وخاصة مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

ISSN : 2410-1818

٤ - الاهتمام البليغ لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف عبر العصور بتعلم الفقه وتعليمه وإتقانه والنبوغ فيه. سواء ذلك عبر تحقيق المخطوطات وكذا بطباعة المتون ومختصراتها وكذا عبر الدراسات الأكاديمية وغير ذلك.

تمهيد:

ويشمل التعريف بالمنهج لغة واصطلاحاً ، وبالفقه لغة واصطلاحاً. المنهج في اللغة: قال ابن فارس: ((النون والهاء والجيم أصلان متباينان :الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضاً..))[١] .والمنهج اصطلاحا هو:" الطريق الواضح الذي يسلكه الفقيه في حكمه وفتواه ،وفي تعلمه وتعليمه للفقه".[٢] قلتُ: وهذا هو المعني في بحثي هذا فليُعلم المقصود به لدى القارئ." والظاهر من استخدامه عند السابقين أنهم استخدموه بمعنى الطريق، ونتيجة التطور الدلالي للألفاظ سار المنهج إلى الاستخدام المعنوي، وهي القواعد. فالمعاصرون استخدموه بالمعنيين: الحسي وهو الطريق، والمعنوي وهي القواعد. وكان نصيب علم الفقه من المناهج التي طبقت في العلوم الإسلامية هو المنهج الاستنباطي المعروف بالقياس في أصول الفقه ...وقد تابعت الدراسات الجامعية التي سبقتني في تناول مناهج العلماء في مصنفاتهم من حيث وصف الكتاب، وخصائصه ومميزاته وموارده التي استقى منها، والمسائل التي حررها فيه"[٣] .وأما الفقه في اللغة: هو العلم بالشيء والفهم له[٤] . وغلب على علم الدين، لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين، أي فهما فيه، قال الله عز وجل: {ليتفقهوا في الدين..}[سورة التوبة، الآية ١٢٢.] أي ليكونوا علماء به ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[٥]. أي يمنحه الفهم في الدين. الفقه في الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية[٦].وهو تعريف قريب من التعريف اللغوي، إذ استخدم علماء الشريعة تعبير: العلم بالأحكام الشرعية، بدلاً من: العلم بالشيء سواء تعلقت هذه الأحكام

(١) أحمد بن فارس بن زكريا ،معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر١٣٩٩هـ (ج٥/ص٣٦١).

(٢)أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم. أصل هذا الكتاب أحد الأبحاث التي قدمت لنيل درجة الأستاذية في الشريعة الإسلامية. دار خضر للنشر والتوزيع الطبعة الأولى. ١٤٢١ هـ(ص ١٨).

(٣) الدكتور صلاح محمد أبو الحاج أصلها رسالة ماجستير قدمت للجامعة الإسلامية في بغداد في سنة ١٩٩٩م .المنهج الفقهي للإمام اللكنوي (ص: ٢٢-٣٠).

(٤)محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. المحقق: محمد علي النجار. الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (٤: ٢١٠.).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١) ١: ٣٩ كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

(٦) علي بن محمد بن علي الجرجاني . التعريفات. ضبطه وصححه جماعة من العلماء الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ (ص١٧٥).

ISSN : 2410-1818

بالعقائد، أو بالأعمال التي تصدر عن العباد [٧]. قلتُ: والمراد بالمنهج الفقهي لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي هو وصف الكتاب الفقهي المنهجي، وخصائصه ومميزاته وموارده التي استقى منها الفقيه، والمسائل التي حررها فيه على مذهبه الرسمي الفقهي المالكي والشافعي والحنفي وأخص بالذكر هنا المذهب الحنبلي وكذلك مخالفته له في حال رجحان الدليل في غيره في أي مذهب أو قول إمام مجتهد.

المبحث الأول: نشأة الفقه وتطوره في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وغيرهما من محاضن العلم وهجره في العالم الإسلامي. وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: بدايات مراحل الفقه في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والنواة الأولى لهما:

فمن المسجد الحرام انطلقت دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم – التعليمية الفقهية المتكاملة تهز أرجاء مكة بقوه ألفاظها وسلاسة معانيها، وقوة نفوذها في الأعماق، تعرب عن صدق وإخلاص وأمانة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤] ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: {تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب} [المسد: ٢][٨] وقد قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى عن الحرمين الشريفين : " و جدير بمواطن عمرت بالوحي و التنزيل ، و تردد بها جبريل و ميكائيل ،.. و انتشر عنها من دين الله و سنة رسوله ما انتشر ، مدارس آيات ، و مساجد و صلوات ، و مشاهد الفضائل و الخيرات ، و معاهد البراهين و المعجزات ، و مناسك الدين ، و مشاعر المسلمين ، و مواقف سيد المرسلين ، و متبوأ خاتم النبيين ، حيث انفجرت النبوة ..." [٩] وتأمل قوله:" ومعاهد البراهين" فهذا يتطلب علم وتعليم ومعلم وطالب ومنهج وكتب ولاسيما الفقه في الدين.

---

(٧)أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم. أصل هذا الكتاب أحد الأبحاث التي قدمت لنيل درجة الأستاذية في الشريعة الإسلامية. دار خضر للنشر والتوزيع الطبعة الأولى. ١٤٢١ هـ.(ص ٨).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه باب {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك} المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر [الشعراء: ٢١٥] دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ (٦/ ١١١).

(٩)عياض بن موسى بن عياض بن عمرون القاضي. تحقيق البجاوي .الشفا بتعريف حقوق المصطفى. (٢ / ٦٢٢ - ٦٢٣).

ISSN : 2410-1818

مراحل الفقه في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وفي العالم الإسلامي:وقد مر الفقه في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وفي غيره من العالم الإسلامي بمراحل وأدوار متعددة بعد نشأته. وهذه المراحل تظهر كيفية نموه وازدهاره، ثم ضعفه وركوده واستقراره على وضع معين في حاضرنا المعاصر. وإليك هذه المراحل والأدوار بصورة موجزة ومختصرة:

١ - عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - عصر الراشدين رضي الله عنهم.

٣ - عصر ما بعد الراشدين إلى أوائل القرن الثاني للهجرة.

٤ - من أوائل القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الرابع الهجري.

٥ - من نهاية الدور السابق إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ.

٦ - من سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ حتى الدولة العثمانية وما بعدها.

الدور الأول: عصر النبي صلى الله عليه وسلم: كان العلم والفقه في هذا الدور علم وحي فقط في الحرمين الشريفين. فكان مصدر الأحكام الشرعية هو الوحي. سواء أكان من الكتاب أو السنة، وحتى اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان مرجعه الوحي. فهو الفيصل في ذلك. وفي هذا الدور مر التشريع بمرحلتين، هما: (أ) التشريع المكي: وقد اتجه الوحي في هذه الفترة إلى ناحية العقيدة، والأمر بمكارم الأخلاق، كالعدل والإحسان والوفاء بالوعد وأخذ العفو والخوف من الله وحده، ولم يتعرض إلى الأحكام العملية إلا قليلاً، وبشكل كلي جملي غالباً لا تفصيلاً.

(ب) التشريع المدني: فاتجه التشريع إلى النواحي العملية وتوضيحها، وتعرضت آيات الأحكام إلى جميع أنواع ما يصدر عن الإنسان من أعمال العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وكذلك المعاملات من بيع وإجارة وصلح، وغير ذلك مما ينظم أمور الدنيا، ويؤدي إلى الفوز في الآخرة.

التدوين في هذا العصر: أما القرآن الكريم فقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتّاباً للوحي فقاموا بحفظه. وأما السنة فلم يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتّاباً يكتبونها، ولم يأمر بكتابتها في أول الأمر، خشية اختلاطها بالقرآن، ثم أباح لهم كتابتها. فكان بعض الصحابة يكتب ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم.والسنة وإن لم تدون فقد كانت محفوظة في صدور الصحابة، وبلغوها لغيرهم، ولم يفقد منها شيء؛ لأن السنة مبينة للقرآن وشارحة له، والقرآن محفوظ بحفظ الله، قال تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا

ISSN : 2410-1818

له لحافظون} سورة الحجر، الآية ٩. ومن تمام حفظه حفظ السنّة له.فقد كانت مكة المكرمة وخاصة الحرم المكي أولى أولويات مهام دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتعليمه وتأميره من ينوبه في حال غيابه واهتمامه البليغ بالمسجد الحرام أكثر من غيره: قال المؤرخ الشيخ محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي المعروف بالصباغ" تتمة: في ذكر من ولي مكة من الأمراء والأشراف...فأول من ولي إمارة مكة: سيدنا عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي .أمره النبي صلى الله عليه وسلم على مكة حين خرج إلى حنين، وذلك في العشر الأواخر من شوال سنة ثمان من الهجرة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة . قاله ابن إسحاق وغيره، وهو في عامة كاتب أهل الحديث.

وذكر ابن عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سار إلى حنين استخلف على مكة معاذ بن جبل الأنصاري، وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين[١٠].وذكر ابن عبد البر عن الطبري: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سار إلى الطائف استخلف على مكة هبيرة ابن شبل الثقفي، وهو أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح.

وقد جمع الفاسي [١١] رحمه الله بين هذه الأخبار، بأن عتاب جعل أميراً على مكة، ومعاذاً إماماً وفقيهاً، واشترك هبيرة مع معاذ في الإمامة، ولا يعارض ذلك ما قيل في ترجمة هبيرة من أنه أول من صلى بمكة جماعة؛ لإمكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر في الناس ومعاذ غائب، فبادر هبيرة وصلى بالناس لتحصل فضيلة أول الوقت، ثم حضر معاذ وصلى بمن لم يدرك الصلاة خلف هبيرة، وهذا أولى من جعل الأخبار متعارضة في ولاية عتاب. هذا معنى كلام الفاسي، وقد أجاد. كذا في الجامع اللطيف [١٢]. انتهى. لأن ولاية عتاب مما بلغ حد التواتر، ولم يزل عتاب على مكة أميراً إلى أن مات، وكانت وفاته يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنهما، وقيل: بل جاء يوم نعي الصديق إلى مكة."[١٣] ونقف عند قوله:" ومعاذاً إماماً وفقهياً" يعني في مكة ،ولاشك في ارتباطه بالمسجد الحرام من حيث التعلم والتعليم ونشره والدعوة إليه.قلتُ: المنهج الفقهي في مكة: كان بتأسيس النواة الأولى وبداياتها بنشر نصوص القرآن الكريم و بعض أحكام الفقه عن طريق النص الشرعي . والمعلّم هنا هو

(١٠) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الصحابة معاذ بن جبل ﷺ .المحقق: مقبل بن هادي الوادعي دار النشر: دار الحرمين البلد: القاهرة – مصر سنة الطبع: ١٤١٧هـ.(٣/ ٣٢٨).

(١١) محمد بن أحمد بن علي، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ (٢/ ٢٧٧).

(١٢) الجامع اللطيف (ص: ٢٨٤).

(١٣) محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي المعروف بالصباغ تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام دراسة وتحقيق أ. د / عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ١٤٢٤هـ (ص: ٦٨٦)

ISSN : 2410-1818

رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأيضاً بتأميره معاذ بن جبل بتولية تعليم القرآن الكريم والفقه في مكة.

الدور الثاني: عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم: بعد انقضاء عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي تم فيه التشريع الإلهي في الكتاب والسنة، وهما الأصلان العظيمان اللذان خلفهما هذا العصر للعصر الذي تلاه، ولجميع العصور اللاحقة به: بدأ العلم والفقه بالنمو والاتساع في هذا الدور الذي نحن بصدده، لأن الفقهاء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واجهوا وقائع وأحداث ما كان لهم بها عهد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم فكان لابد من معرفة حكم الله فيها.وقد قام فقهاء الصحابة بمهمة التعرف على أحكام هذه المسائل والوقائع الجديدة. فاجتهدوا، واستعملوا آرائهم على ضوء قواعد الشريعة ومبادئها العامة، ومعرفتهم بمقاصدها. وهكذا ظهر الاجتهاد بالرأي كمصدر مستقل للفقه. فإن المتتبع لاجتهادهم يلحظ أنه بأنواعه قام على أساس نظرهم إلى علل الأحكام، ورعايتهم للمصلحة، ودرء المفسدة... ولقد كان فقهاء الصحابة جميعاً لا يلجؤون إلى الرأي إلا إذا لم يجدوا الحكم في الكتاب أو في السنة. إلا أنهم لم يكونوا سواء في رجوعهم إلى الرأي في هذه الحالة: فمنهم المكثر من الرأي ومنهم المقل. وهكذا ظهرت في هذا الدور نزعتان في الفقه: نزعة الإكثار من الرأي ونزعة الإقلال منه. وفي عهد عمر:" وفي أسد الغابة [١٤]: ولما ولي نافع على مكة قدم عمر بن الخطاب فاستقبله نافع، واستخلف على أهل مكة عبدالرحمن بن أبزى، فغضب عمر رضي الله عنه وقال: استخلفت على آل الله عبد الرحمن بن أبزى؟! فقال: إني وجدته أقرأهم لكتاب الله وأفقههم لدين الله، فتواضع عمر."[١٥]. فيه دلالة على اعتناء خليفة المسلمين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمكة وتعليم أهلها عبر نصب الأمير الفقيه لها. اقتداءً بما فعله المصطفى صلى الله عليه وسلم. كما مر معنا قريباً.

واعلم :"أنّ أول من جمع الأولاد في المكاتب للتعليم هو: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد جاء في كتاب " عنوان البيان " أن أوّل من جمع الأولاد في المكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمّر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم وجعل رزقه من بيت المال وأمره أن يكتب للبليد في اللوح ويلقن الفهيم من غير كتب وسألوه تخفيف التعليم فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي ومن صلاة الظهر إلي صلاة العصر

(١٤)علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، عز الدين ابن الأثير. أسد الغابة في معرفة الصحابة. المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية.(٣١٩/٣).

(١٥) تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام (ص: ٦٨٨)

ISSN : 2410-1818

ويستريحون بقية النهار ولما خرج رضي الله عنه إلى الشام عام فتحها ومكث شهراً ثم رجع إلى المدينة وقد استوحش الناس منه فخرجوا للقائه تلقاه الصغار على مسيرة يوم وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا في خروجهم ورجوعهم فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين. فصار ذلك سنّة متّبعة ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة انظر الفواكه الدواني على رسالة أبي زيدان القيرواني انتهي من كتاب " عنوان البيان ".[١٦] ونلحظ هنا الفترة الزمنية المكثفة والتي هي: بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي ومن صلاة الظهر إلي صلاة العصر ويستريحون بقية النهار. طوال الأسبوع ثم شرع لهم الاستراحة في يومي الخميس والجمعة. وكان هذا في المدينة المنورة. بعد رجوعه من الشام.وقد تحققت دعوة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم في حبر الأمة عبد الله بن عباس لّما دعا له بقوله:" اللهم فقه في الدين وعلّمه التأويل."[١٧] وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرّب ابن عباس رضي الله عنهما ويحضره في مجلس الشورى ، رغم حداثة سنّه ، لما رآه منه من علم وفقه في الدين. وروى الفاكهي بسنده عن ابن أبحر الكوفي قال:" إنما فقه أهل مكة حين نزل ابن عباس رضي الله عنهما بأظهرهم."[١٨] وروى أيضاً بسنده عن عطاء أنه قال:" ما رأيتُ مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس ضي الله عنهما أكثر فقهاً ،وأعظم جفنة[١٩] ،أصحاب القرآن عنده يسألونه ،وأصحاب الغريب عنده يسألونه ، وأصحاب الشعر عنده يسألونه ،فكلهم يصدر عن رأي واسع".[٢٠] وكان شخوص ابن عباس إلى مكة (ت٦٨هـ) – موطنه الأصلي - بعد سنة أربعين للهجرة. وبدأ يأسس مدرسته المشهورة مع طلابه ، والتي منها انطلق بدايات التعليم المدرسي المنهجي في التفسير والحديث والفقه. وروى ابن سعد بسنده عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أنه قال في وصف ابن عباس وعلمه وأخلاقه:" ..ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ،ويوماً التأويل ،ويوماً المغازي ،ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب.."[٢١] وقال مجاهد:" ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عباس ،إلا أن يقول قائل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم."[٢٢] و يستدل به على اعتماد الفتوى في زمن ابن عباس على وفاق ما أفتى به الشيوخ.وأبرز المفتين من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما بعده هم: عطاء بن أبي رباح (ت

(١٦) محمد بن طاهر الكردي .التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٦/ ٣٢-٣٤).
(١٧) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٥٣٤/٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.
(١٨) الفاكهي أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٣٤٠/١) رقم الخبر ١٦٢٧.
(١٩) الجفنة: هي القصعة. وهي كناية عن الكرم. وتطلق أيضاً على الكريم المضياف. المعجم الوسيط (مادة جفن).
(٢٠) الفاكهي أخبار مكة (٣٤٠/١) رقم الخبر ١٦٢٨.
(٢١) ابن سعد طبقات ابن سعد (٢٨/٢).
(٢٢) الذهبي سير أعلام النبلاء (٤٥١/٤) رقم ٢٧٣.

ISSN : 2410-1818

١١٤هـ) ،مجاهد بن جبر (ت ١٠٣هـ) ، عكرمة مولى ابن عباس ، عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة (ت ١١٩هـ).[٢٣]

ونلحظ هنا تأسيس مدرسة ابن عباس في مكة وقيامها بدور التعليم والتدريس والإفتاء في التفسير والحديث والفقه واستقرارها في مكة." فلقد اتسعت الفتوحات الإسلامية، وانتقل كثير من أعلام الصحابة إلى الأمصار المفتوحة، ولدى كل واحد منهم علم. وعلى يد هؤلاء تلقى تلاميذهم من التابعين علمهم، وأخذوا عنهم، ونشأت مدارس متعددة.ففي مكة نشأت مدرسة ابن عباس واشتهر من تلاميذه بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاؤوس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح. وهؤلاء جميعاً من الموالي، وهم يختلفون في الرواية عن ابن عباس قلة وكثرة، كما اختلف العلماء في مقدار الثقة بهم والركون إليهم، والذي ورد فيه شيء ذو بال هو عكرمة، فإن العلماء يختلفون في توثيقه وإن كانوا يشهدون له بالعلم والفضل.

وفي المدينة اشتهر أبي بن كعب بالتفسير أكثر من غيره، وكثر ما نقل عنه في ذلك. واشتهر من تلاميذه من التابعين الذين أخذوا عنه مباشرة أو بالواسطة: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي."[٢٤]

ف" المسجد معبد تتضاعف فيه الصلاة، والمضاعفة شاملة لكل الزيادات، وكان المعهد الأول والجامعة الأولى في كل علوم الدين والدنيا، وكان - كما يقول بعض الكتّاب - المدرس الأول هو جبريل عليه السلام، فالآن في نظم الجامعات، كل مادة لها مدرس أول صاحب كرسي، وهو المسئول عن تلك المادة، فمادة الفقه أو مادة الحديث التوحيد أو الأصول يكون لها عدة أشخاص يدرسون المادة لكثرة الفصول والطلاب، ولابد في كل مادة من مدرس أول، مسئول عنها، فإذا اختلف مدرسوها في جزئية يكون هو المرجع فيها. فيقول بعض الكتاب: كان المدرس الأول في الجامعة المحمدية جبريل عليه السلام، وكان صلى الله عليه وسلم يتلقى عن جبريل، وجبريل يتلقى عن رب العالمين، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلقى عنهم التابعون، وانتشر الصحابة في العالم، فانتشر العلم من المسجد النبوي الشريف، وفي مكة كانت مدرسة ابن عباس ، و بعده تلاميذه ك عطاء وغيره، وكان في الشام الأوزاعي وغيره، وفي مصر الليث بن سعد ، وفي البصرة الحسن البصري...وفي العالم كله انتشر العلم

(٢٣) الشيرازي طبقات الفقهاء (ص ٦٥).

(٢٤) مناع القطان مباحث في علوم القرآن دار النشر : مكتبة وهبة البلد : القاهرة .الطبعة : السابعة (ص: ٣٤٩-٣٥٠).

ISSN : 2410-1818

الإسلامي والديني بما في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومبدأ انتشاره من هذه الجامعة الأولى. وكان المسجد -أيضاً- داراً للقضاء، يقضي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده، وكان كذلك بيت مال المسلمين.."[٢٥].

الدور الثالث: عصر ما بعد الراشدين إلى أوائل القرن الثاني للهجرة: يبدأ هذا الدور من نهاية عصر الخلفاء الراشدين أي من سنة ٤١ هـ إلى أوائل القرن الثاني للهجرة. أي إلى قبيل سقوط الدولة الأموية. و قد سار العلم في الحرمين الشريفين وغيرهما من المساجد ودور العلم في البلاد الإسلامية في هذا الدور على نهج الصحابة ، لأن التابعين تلقوا العلم والفقه عنهم، وساروا على مناهجهم في استنباط الأحكام. فكان فقهاء هذا العصر يرجعون إلى الكتاب ثم السنة ثم إلى الاجتهاد بالرأي بأنواعه، ناظرين إلى علل الأحكام ومراعاة المصلحة ودفع المفسدة [٢٦]. كان التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد الصحابة قليلاً، أما في هذا الدور فقد شاعت رواية الحديث وكثرت، وسبب ذلك تفرق العلماء و الفقهاء في البلاد، وتجدد الحوادث، وضرورة البحث عن أحكامها.

ظهور مدرسة أهل الحديث، ومدرسة أهل الرأي: سبق أن ذكرت أن الاجتهاد بالرأي في عصر الخلفاء الراشدين كان يقوم على أساس النظر إلى علل الأحكام ومراعاة المصلحة، وأن الفقهاء كانوا فريقين: فريق يتهيب من الرأي ولا يلجأ إليه إلا قليلاً، وفريق لا يتهيب من الرأي بل يلجأ إليه كلما وجد ضرورة لذلك، وفي هذا العصر اشتد ظهور هاتين النزعتين، وأخذت تتحدد ملامح كل منهما، وتتبين مناهجها ويكثر أنصارها. فقد وجد الفقهاء من هاتين النزعتين، فكان منهم الوقافون عند النصوص لا يتجاوزونها ولا يميلون إلى الرأي، ورأوا في منهجهم هذا العصمة من الفتن، ومن الحكم بغير علم، وكان أكثر هؤلاء الفقهاء في المدينة بالحجاز، كما وجد من الفقهاء من لا يقف عند النصوص، بل يغوص في معانيها، ويتعرف على عللها، ويبني على هذه العلل وتلك المعاني الأحكام الجديدة، ولذا فما كان هؤلاء يتهيبون من الإفتاء بالرأي ولا يرون فيه تهجماً على الشريعة بغير علم، بل فيه سلوك ما أرشدت إليه نصوص الشريعة، وما ورد فيها من تعليل الأحكام، كما أن هؤلاء وجدوا في كثرة وضع الحديث ما يدفعهم إلى المزيد من استعمال الرأي، وكان أكثر هذا النوع من الفقهاء في الكوفة بالعراق، وهكذا ظهرت مدرسة أهل الحديث في المدينة، ومدرسة أهل الرأي في الكوفة.

---

(٢٥) عطية محمد سالم شرح بلوغ المرام (١٢/٥٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٢٦) عبد الكريم زيدان: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية(ص ١١١).

ISSN : 2410-1818

أسباب وجود مدرسة الحديث في المدينة ومدرسة الرأي في الكوفة: تأثر فقهاء المدرستين بطريقة شيوخهم. ففقهاء المدينة تخرجوا على فقهاء الصحابة المقلين من الرأي كعبد الله ابن عمر. أما فقهاء الكوفة فقد تأثروا بطريقة عبد الله بن مسعود ومن تلقى الفقه عنه.

١ - كثرة الأحاديث والآثار الفقهية في المدينة، لأنها مهبط الوحي. أما في الكوفة فكانت السنة والآثار أقل مما في المدينة.

٢ - بساطة الحياة في المدينة، وعدم تجدد الوقائع إلا بقدر قليل. أما في الكوفة فالحياة معقدة غير بسيطة.

التدوين في هذا الدور: انقضى هذا الدور ولم يدون فيه شيء من الفقه، كما أن السنّة لم تدوّن أيضاً، وإن حصلت محاولات لتدوينها.[٢٧]

المطلب الثاني: النشأة ا لتاريخية لمراحل الفقه في المسجد الحرام والمسجد النبوي وفي العالم الإسلامي:

وقد تحدثنا عن الأدوار الثلاثة الأولى قبل قليل والان نتحدث عن الأدوار الآتية: **الدور الرابع: من أوائل القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الرابع:** يبدأ هذا الدور من أوائل القرن الثاني الهجري ويمتد إلى منتصف القرن الرابع.وقد نما العلم والفقه والحديث وعلوم الآلة وغيرها في هذا الدور نمواً عظيماً، وازدهر ازدهاراً عجيباً، ونضج نضوجا كاملاً. وفي هذا الدور ظهر نوابغ الفقهاء، فالمجتهدون العظام ظهروا في هذا الدور وأسسوا مذاهبهم الفقهية التي لا يزال أكثرها قائماً حتى الآن ، وفي هذا الدور أيضاً دوّن الفقه وضبطت قواعده وجمعت أشتاته، وألفت الكتب في مسائله، وكما دون الفقه دونت السنة أيضاً تدويناً شاملاً، وقد سمي هذا العصر بعصر الفقه الذهبي وشمل جميع البلاد الإسلامية ومنها مكة والمدينة.

أسباب ازدهار العلوم الشرعية ومنها الفقه:

١ -عناية الخلفاء العباسيين بالعلم ولاسيما بالفقه والفقهاء. وتظهر هذه العناية بتقريبهم الفقهاء والرجوع إلى آرائهم.

(٢٧) أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم.(ص: ١٥-١٩).

ISSN : 2410-1818

٢ -اتساع البلاد الإسلامية. فقد كانت تمتد من إسبانيا إلى الصين. وفي هذه البلاد الواسعة عادات وتقاليد مختلفة متباينة، تجب مراعاتها ما دامت لا تخالف النصوص الشرعية.

٣ - ظهور المجتهدين الكبار ذوي الملكات الفقهية الراسخة.

٤ - تدوين السنة. فقد دونت السنة وعرف صحيحها وضعيفها، فكان في ذلك تسهيل لعمل الفقهاء، وتوفير الجهد عليهم.

ظهور المذاهب الفقهية الإسلامية الأربعة: وفي هذا الدور ظهرت المذاهب الإسلامية ولاسيما الأربعة منها، وتميزت معالمها، ووضحت اتجاهاتها، وصار لكل مذهب أتباع كثيرون، ينشرون آراءه، وينهجون نهجه، كمذهب أبي حنيفة سابقاً بقية المذاهب الثلاثة الأخرى. وأما الإمام مالك بن أنس".. فقد عاش في المدينة أبناء الصحابة - رضوان الله عليهم - وأبناء التابعين، وكانت وفود طلاب العلم من المشرق الإسلامي ومغربه تصل إليهم للتتلّمذ على أيديهم، وتدوين أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فيجاورون الحرمين، وينتظمون في حلقات العلم بالمسجد النبوي والمسجد الحرام، وظلت هذه الحلقات تقوم بدورها الكبير في تطوير الأمة الإسلامية فكرياً وحضارياً، وربطها بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وكان الإمام مالك - رحمه الله - من أبرز معلمي المسجد النبوي في مطلع القرن الثاني الهجري، إذ تتبع منهاج الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وسار طلابه على منهاجه، حتى تكونت مدرسته الفكرية الفقهية التي تعرف بمدرسة عالم المدينة، والتي نهجت هي أيضاً منهج السلف والجماعة، وابتعدت عن القياس والتأويل، والتزمت بظاهر النص مع معناه الأصيل.

وشاء الله لهذه البلاد أن تنجو من تلك المهالك إذ هيأ لها رجالا أشداء مخلصين تمذّهبوا بمذهب عالم المدينة، وعرفوا منه الدين على أصوله الصافية، إذ كانت رحلة المغاربة إلى المدينة لا تنقطع سواء في مواسم الحج أو طلباً للعلم. ولم يمض وقت طويل حتى تكونت في بداية القرن الثالث الهجري النواة الأولى لمدرسة القيروان التي لمعت في دراسة الفقه المالكي، وفي تصنيفه، وفي الإفتاء به، ومن أشهر الفقهاء المؤسسين لهذه المدرسة: الإمام سحنون وابنه محمد، وابن عيد روس، وابن الحداد، وغيرهم كثيرون يشهدون بفضل عالم المدينة المنورة، وبعلمه الصحيح... "[٢٨]. وهنا نلحظ تعليم الفقه والحديث باعتماد تدريس الإمام مالك لمؤطئه المشهور.وأما عن الإمام الشافعي فقد أخذ العلم عن أهل مكة:" وأما أهل مكة فانتهى العلم

(٢٨) مجلة البحوث الإسلامية (٢٤/ ٣١٧-٣١٩).بتصرف

ISSN : 2410-1818

فيهم إلى عطاء وطاووس ومجاهد وعمرو بن دينار وابن أبي مليكة. فأخذ الشافعي علم عطاء عن أصحاب ابن جريج وهم مسلم بن خالد وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد وسعيد بن سالم القداح وهؤلاء كانوا بمكة.."[٢٩] فقد انتقل فقه مكة بعد ابن جريج إلى تلاميذه ومنهم مسلم بن خالد الزنجي قال فيه ابن حبان:" وكان من فقهاء أهل الحجاز ،ومنه تعلم الشافعي الفقه ،وإياه كان يجالس قبل أن يلقى مالك بن أنس".[٣٠] وأخذه أيضاً عن أهل المدينة ومنهم الفقهاء السبعة حيث:" " انتهاء العلم بالمدينة إلى الفقهاء السبعة عمن أخذ علمهم: وقد كان العلم بالمدينة انتهى إلى الفقهاء السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وخارجة بن زيد بن ثابت وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. وأخذ عن هؤلاء السبعة علمهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة بن أبي عبد الرحمن الرأي وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان وأخذ الشافعي علم هؤلاء الأربعة عن أصحابهم. أما الزهري فحفظ علمه عن مالك وسفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد ومسلم بن خالد الزنجي وعمه محمد بن علي بن شافع وأما يحيى بن سعيد وربيعة وأبو الزناد فحفظ علمهم عن مالك وسفيان أيضاً وكان من فقهاء المدينة ومحدثيها محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب فلم يدركه الشافعي لكنه أخذ علمه عن صاحبيه محمد بن إسماعيل بن أبي فديك وعبد الله بن نافع الصائغ."[٣١]

والمكان الذي كتبت فيه طريقة الشافعي الجديدة في الفقه وأصوله كان هو مكة المكرمة التي ألّف الشافعي بها أوّل كتاب في أصول الفقه وهو الكتاب المسمى بالرسالة. ثم أعاد النظر فيه بعدما تحول إلى مصر.

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد أخذ علمه في بغداد وسافر في طلبه إلى مكة والمدينة وغيرهما من البلاد الإسلامية: و" يرجع أسباب عدم انتشار المذهب إلى أمور منها:

١ - أنه جاء بعد أن احتلت المذاهب الثلاثة التي سبقته الأمصار الإسلامية. فكان في العراق مذهب أبي حنيفة، وفي مصر المذهب الشافعي، والمالكي، وفي المغرب والأندلس المذهب المالكي.

(٢٩) الاحتجاج بالشافعي لأبي بكر الخطيب البغدادي (ص: ٧٤-٧٦).

(٣٠) ابن حبان الثقات (٤/ ٢٨٠) رقم ٤٣٩٨.

(٣١)أحمد بن علي الخطيب البغدادي. الاحتجاج بالشافعي المحقق: خليل إبراهيم ملا خاطر الناشر: المكتبة الأثرية – باكستان (ص: ٧٠ -٧٣).

ISSN : 2410-1818

٢ - أنه لم يكن منه قضاة. والقضاة إنما ينشرون المذهب الذى يتبعونه، فأبو يوسف ومن بعده محمد بن الحسن رحمهما الله نشرا المذهب الحنفي وخصوصا آراء أبي حنيفة، وأسد بن الفرات في المغرب نشر المذهب المالكي، والحكم الأموي في الأندلس عمل على نشر ذلك المذهب أيضا، ولم ينل المذهب الحنبلي تلك الحظوة إلا في الجزيرة العربية أخيراً. هذه من أهم الأسباب التي جعلت المذهب الحنبلي قليل الانتشار، ولم ينل ما ناله فقه المذاهب الأخرى. ولكنه في هذا القرن حقق انتشارا جيداً، فقد انتشر في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية. واعتنى العلماء به في الجزيرة العربية، كما اعتنت الجامعات في المملكة العربية السعودية بتحقيق كتبه وإخراجها، وألفت بعض المؤلفات في موضوعات كثيرة بتوسع وتعمق. وأصبح المذهب المعمول به في المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج العربي في الفتيا والقضاء. وتعتبر هذه الفترة من عصور ازدهار المذهب الحنبلي"[٣٢]. ونلحظ هنا اعتماد المذهب الحنبلي ونشر كتبه وتدريسها وتقديمها على غيرها في الإفتاء.

الدور الخامس: من منتصف القرن الرابع الهجري إلى سقوط بغداد: يبدأ هذا الدور من نهاية الدور الرابع إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ.

ركود الفقه: وقد رأينا في الدور الرابع كيف كان الفقه في نمو دائم، وازدهار مستمر، وحيوية دافقة. ولكن الفقه ما بقي على حالته هذه، فقد اعتراه الضعف والركود والتوقف عن سيره الأول شيئاً فشيئاً. والفقهاء جنحوا إلى التقليد والتزام مذاهب معينة لا يحيدون عنها ولا يميلون. حتى وصل الحال بهم إلى الإفتاء بإغلاق باب الاجتهاد. ودعوة الناس إلى التقيد بالمذاهب وعدم التحول عنها.

جنوح الفقهاء إلى التقليد: الأصل في الفقيه أن يكون مجتهداً مستقلاً لا يتقيد بمذهب معين، وإنما يتقيد بنصوص الكتاب والسنة وما يؤديه إليه اجتهاده المقبول، إذن فما أسباب انتشار التقليد بين الفقهاء؟

يمكن إرجاع ذلك إلى ما يلي:

(١) ضعف السلطان السياسي للخلفاء العباسيين، فالدولة لم تعدّ كما كانت قبل، وإنما تقطعت أجزاؤها، وقامت في أنحائها دويلات، مما أثر في حياة العلماء و الفقهاء لعدم وجود التشجيع.

(٣٢) الدكتور عبدالملك بن عبدالله بن دهيش المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم (ص: ٦٨-٦٩)

ISSN : 2410-1818

(٢) أن المذاهب الإسلامية دونت تدويناً كاملاً، مع تشييد مسائلها، وتنظم وتبويب مسائلها الواقعية مما جعل النفوس تكتفي بهذه الثروة الفقهية الهائلة، وتستغني بها عن البحث، والاستنباط.

(٣) ضعف الثقة بالنفس، والتهيب من الاجتهاد.

الدور السادس: من عام ٦٥٦ هـ حتى الدولة العثمانية وما بعدها: وفي هذا الدور السادس الذي يبدأ من سقوط بغداد في القرن السابع الهجري ويمتد إلى الدولة العثمانية وما بعدها. لم ينهض الفقه من كبوته، ولم يغير الفقهاء منهجهم، فالتقليد قد فشا وشاع بينهم حتى صار أمراً مألوفاً لا يدعو إلى العجب والإنكار. فالحركة العلمية والتعليمية في العالم الإسلامي في الفترة التي هاجم فيها المغول والتتار عليها، ظلت في حالة ركود وجمود. غير أن الله تبارك وتعالى تداركها بعونه ورحمته ولطفه فبدأت تنمو فيها الجهود حتى عادت الحركة العلمية والتعليمية إليها مرة أخرى. ولقد حظيت المدينة المنورة دار هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير ولله الحمد من أعاظم العلماء والأثرياء من المسلمين الذين استقروا فيها وقاموا بحركة التعليم والتعلم وذلك بإقامة المدارس والأربطة الوقفية. فأصبحت مهوى قلوب كثير من العلماء وطلاب العلم وكتب التاريخ والتراجم تشهد على ذلك. والمدرسة في تلك العصور عبارة عن مكان للدرس وطلب العلم وسكنى للعلماء وطلاب العلم والمعتمرين والوافدين إما للزيارة أو المجاورة.[٣٣] وقال الكردي فيما يخص التعليم في الحجاز والذي يهمنا هنا كلامه عن المنهجية المعمولة بها في هذه الحقبة من التاريخ الفقهي عن المدارس والمذاهب الفقهية الأربعة حيث قال – رحمه الله -: "التعليم في الحجاز قبل سنة ١٢٦٤ هجرية لم نر من تكلم من المؤرخين عن التعليم قبل سنة (١٢٦٤) أربع وستين ومائتين وألف من الهجرة والمعقول أن يكون التعليم في الأزمان الماضية في المساجد في جميع الممالك الإسلامية كجامع الأزهر الشريف بمصر وجامع الزيتون بالمغرب وليس المسجد الحرام بمكة بأقل نصيباً منهما. فقد ذكر الغازي رحمه الله تعالي في آخر الجزء الثالث من تاريخه ناقلاً عن العلامة الخضراوي في كتابه " تاج تواريخ البشر " في ذكر ولاة مكة المشرفة وجدة من الباشوات من طرف الدولة العثمانية بعد خروج الدولة المصرية وانقضاء مدتهم من الحجاز عند ترجمة المشير " الحاج محمد حسيب باشا " الذي تولى مكة في السنة المذكورة سنة (١٢٦٤هـ) ثم عزل عنهما بعد سنتين من توليته ما نصه " الحاج محمد حسيب باشا هو الذي اخرج مكاتب

(٣٣) أ. د.عبدالملك بن عبدالله بن دهيش المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم (ص: ٦٨-٦٩)

ISSN : 2410-1818

الصبيان من المسجد الحرام وفرقهم في الزوايا ورتب لكل فقيه مائة غرش بالخزينة العامرة ..... " ثم ذكر نبذة كبيرة مما قام المذكور بعمله بمكة شرفها الله تعالي مدة توليته عليها لم ننقل كل ذلك لعدم الحاجة إليه هنا ومعني كلمة مكاتب الصبيان أي الكتاتيب الخاصة بتعليم الصبيان فاستنتجنا من هذه العبارة التاريخية المهمة أن تعليم الصبيان القراءة والكتابة وبعض العلوم الأولية كان في نفس المسجد الحرام فعند كل فقيه جملة من التلاميذ يعلمهم وقد دام هذا الحال في العصور السابقة إلى زمن والي مكة التركي الحاج محمد حسيب باشا المذكور ثم أن هذا رأى أنّ الصبيان الصغار قد يلوثون المسجد الحرام ولا يراعون حرمته فأخرجهم منه إلي بعض الزوايا القريبة من المسجد في السنة المذكورة أو في التي بعدها وهذا الحال كان بالضبط في الجامع الأزهر الشريف في القاهرة من قديم الزمان فانه كان بداخله كثير من مكاتب الصبيان ولكل مكتب فقيه خاص...ثم كان المسجد الحرام مركز الطلاب العلوم والفنون من قديم الأزمان فإذا أتقن الصبي القراءة والكتابة وحفظ بعض المتون تقدم للدرس في حلقات العلم بالمسجد الحرام أو التحق ببعض المدارس التي بنيت حول المسجد الحرام لطلب العلم على المذاهب الاربعة التي بنتها السلاطين والملوك وخصصوا لطلبتها ومدرسيها أوقافاً سنوية ورواتب شهرية كمدرسة الملك الافضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن التي وقفت لفقهاء الشافعية سنة (٧٧٠) سبعين وسبعمائة وكمدرسة دار العجلة وكان يدرس بها الفقه الحنفي قبل السنة المذكورة وكمدرسة غياث الدين أعظم شاه صاحب بنغالة التي وقفها على أهل المذاهب الأربعة في سنة (٨١٣) ثلاث عشر وثمانمائة وغير ذلك مما لسنا في صدد سردها وحصرها هذا ما كان في الحجاز من كيفية التعليم ولم تعرف الدراسة بالمدارس والمعاهد على الصفة التي عليها اليوم إلا من بعد سنة (١٣٣٠) ألف وثلاثمائة وثلاثين هجرية تقريباً نسال الله التوفيق والسداد والعمل بما علمناه أمين. "."[٣٤]

ومن أهم الحواضر و المحاضن العلمية والفقهية في أواخر عهد المماليك الآتي:

١ - المدارس الشرعية:

ذكر المقريزي ٧٦٦ - ٨٤٥هـ بأن المدارس لم تعرف في بلاد المسلمين قبل سنة أربعمائة للهجرة[٣٥]. قلتُ: ربما يعني المرفق الوقفي المهيأ أصلا لتدريس العلوم الشرعية وغيرها من العلوم استقلالاً. أما غير ذلك فقد وُجدَ كما ذكره غيره وكما سيأتي. ولقد ذكر

(٣٤) محمد بن طاهر الكردي .التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٦/ ٣٢-٣٤).

(٣٥) أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ،(٢ / ٣٦٣).

ISSN : 2410-1818

النعيمي أن هناك مدرسة بناها فخر الدين عثمان بن الزنجيبلي في مكة المشرفة، وله رباط بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. وكان ذلك في عام ٥٧٧هـ[٣٦]، ولعل هذا الرباط أول مدرسة في المدينة المنورة.[٣٧]

وقال المؤرخ محمد بن أحمد المعروف بالصباغ:" الفصل الثاني: في ذكر المدارس والأربطة والبرك بمكة وحرمها مما قاربها: قال الفاسي[٣٨] : أما المدارس الموقوفة بمكة [إحدى عشرة] فيما علمت: منها بالجانب الشرقي من المسجد الحرام: مدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن، أوقفها على الفقهاء الشافعية، وتعرف الآن بابن عباد الله، وهي على يمين الخارج من باب النبي، أوقفها سنة سبعمائة وسبعين. ومنها بالجانب الشامي: مدرسة العجلة على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة، وتعرف الآن مدرسة عبد الباسط، أوقفها على أئمة مقام الحنفي. ا هـ. ومنها بالجانب الغربي ثلاث مدارس: مدرسة الأمير فخر الدين نائب عدن على باب العمرة، وتعرف بدار السلسلة، أوقفها على علماء الحنفية سنة خمسمائة [وتسع وسبعين] [٣٩]. ومدرسة طاب الزمان الحبشية عتيقة المستنصر العباسي، وهو الموضع المعروف بدار زبيدة، وقفتها في شعبان سنة خمسمائة وثمانين على عشرة من الفقهاء الشافعية[٤٠] .ومنها: مدرسة الملك المنصور عمر بن علي صاحب اليمن - بين هاتين المدرستين - وعمارتها في سنة ستمائة [وإحدى] وأربعين ، وتعرف الآن بالداودية أوقفها على الفقهاء الشافعية والمحدثين.ومنها بالجانب الجنوبي: مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن، على الفقهاء الشافعية، وتعرف الآن بالعينية، يسكنها قضاة مكة، وتاريخ وقفيتها في ذي القعدة سنة سبعمائة [وتسع] وثلاثين .

ومنها بالجانب اليماني أيضا: مدرسة الملك المنصور غياث الدين صاحب بنقالة ، وهي على الفقهاء من المذاهب الأربعة، وجعل الواقف المنازل التي تعلوها وهي [إحدى عشرة] خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقراء، أوقفت سنة ثمانمائة [وأربع عشرة] .

ومنها: مدرسة أبي [علي بن أبي زكريا] قرب المدرسة المجاهدية، وتاريخ وقفها سنة ستمائة [وخمس] وثلاثين .

---

(٣٦)عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي. الدارس في تاريخ المدارس المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ - ١٤١٠هـ. (١ / ٤٠٤).

(٣٧) المصدر السابق (ص: ٤٨٢)

(٣٨) شفاء الغرام (١/ ٦٠٣).

(٣٩) وانظر الخبر في: شفاء الغرام، الموضع السابق.

(٤٠) وانظر شفاء الغرام (١/ ٦٠٣)

ISSN : 2410-1818

ومنها: مدرسة الأرسوفي ببابالعمرة. ومنها: مدرسة [ابن] الحداد المهدوي قرب هذه المدرسة، وتعرف الآن بمدرسة الأشراف الإدريسية، وتاريخ وقفها شهر ربيع الآخر سنة ستمائة [وثمان] وثلاثين، وهي على المالكية. ومنها: مدرسة النهاوندي بقرب الموضع الذي يقال له: الدريبة. انتهى. هذا ما ذكره الفاسي في شفاء الغرام[٤١] .وذكر القطب [٤٢] قال: وبجانب الحرم من الجهة الشامية استبدل السلطان سليمان هذه الأماكن [التي] بهذه الجهة، وبنى بها أربع مدارس أوقفها على من ولي الإفتاء من الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة، [فالتي] يحارب باب الدريبة على المالكية، [والتي] بجانبها على الحنابلة، والتي يجانبها على الشافعية، والتي بجانبها على الأحناف، وتاريخ وقفها تسعمائة وسبعين. ومنها: أن السلطان قايتباي استبدل الأماكن التي بجانب باب السلام على يمين الخارج إلى حد باب النبي، وكانت هذه الأماكن رباطين. وبنى بها مدرسة ورباطا، وأوقف بها كتبا عديدة. اهـ. ومنها: ما ذكره السنجاري في منائح [الكرم] [٤٣] أن السلطان مراد بنى رواقاً من باب الصفا إلى باب بازان جعله للفقراء ينامون به لأجل [أن] لا يقذرون الحرم. انتهى . أقول: ولم يبق من المدارس إلا مدرسة محمد باشا بباب الزيادة صاحب حمام العمرة والداوودية، وكذلك رباط وراء المدارس السلطانية من جملة المدارس، [هذه] هي التي بقيت من المدارس يسكنها الفقراء، وما عداها توالت عليها الأيدي. انتهى."[٤٤] وهنا نلحظ أن المنهج الفقهي في مكة وفي المسجد الحرام كان لجميع كتب المذاهب الأربعة الفقهية المشهورة .

٢ - **[الأربطة للعلوم الشرعية وعلوم الآلة]:** وقال محمد بن أحمد المعروف بالصباغ عن الأربطة:" وأما الأربطة فكثيرة، ذكرها الفاسي؛ فمنها: الرباط المعروف برباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب السلام، وكان موقوفاً في سنة أربعمائة، وموضعه دار القوارير التي بنيت في زمن الرشيد على ما ذكره الأزرقي [٤٥]، ودار القوارير موضعها مدرسة قايتباي. ومنها: رباط قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الرحيم المراغي الملاصق لهذا الرباط، وبابه عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز، ويعرف الآن بباب النبي [٤٦]. وفيه أنه وقفه على الصوفيةالواصلين إلى مكة المقيمين بها والمجتازين من العرب

(٤١) شفاء الغرام (٦٠٧/ ١).مصدر سابق.
(٤٢) انظر: الإعلام (ص: ٣٥٠).لم أحصل على معلومات عنه.
(٤٣) منائح الكرم: (٣/ ٤٩٤).لم أحصل على تفصيل عليه.
(٤٤) تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام (ص: ٦٢٢-٦٢٦).مصدر سابق.
(٤٥) محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار دراسة وتحقيق: علي عمر: مكتبة الثقافة الدينية .الطبعة الأولى(٢/ ٢١٧).
(٤٦) في شفاء الغرام: ويعرف الآن بالقيلاني لسكناه به، وفي إتحاف الورى: المعروف ببيت الكيلاني.

ISSN : 2410-1818

والعجم. اهـ فاسي[٤٧]. وهذان الرباطان استبدلهما قايتباي وبنى في [محلهما] رباطه ومدرسته المشهورة على ما تقدم....."[٤٨]" وغيرها من الأربطة التي ذكرها حذفتها للاختصار.

"وجميع هذه المدارس انقرضت إما بالضم أو التحويل أو بوفاة صاحبها أو انتقال الملك من أمة إلى أمة أخرى لأن هذه الفترة من بداية العهد المملوكي إلى نهاية حكم الأشراف بالمدينة المنورة وبعض ما بقي منها الآن تحول إلى مدارس لتحفيظ القرآن الكريم بنفس المسمى تحت إشراف الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة، أو رباط لسكنى المساكين".[٤٩] وحيث وجد الركود والتقليد أيضاً وجد أفراد هنا وهناك لم يرتضوا التقليد، ونادوا بالاجتهاد المطلق، وتلمس الأحكام من الكتاب والسنة دون تقيد بمذهب معين، ومن هؤلاء ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشوكاني صاحب نيل الأوطار، وغيرهم.

وأما المتون والشروح والحواشي: فقد اتجه فقهاء هذا الدور إلى التأليف. وكان الغالب عليهم الاختصار حتى وصل إلى درجة الإخلال في بعض تلك المختصرات. لذلك احتاجت المقدمات إلى شروح توضح معانيها، ثم ظهرت الحواشي إلى جانب الشروح، وهي تعليقات وملاحظات على الشروح.

وأما كتب الفتاوى: فقد وجدت كتب "الفتاوى" وهي: أجوبة لما كان يسأل الناس عنه الفقهاء في مسائل الحياة العملية، ثم تجمع هذه الأجوبة من قبل أصحابها أو من قبل آخرين، ليتنظم وترتب حسب أبواب الفقه، وتكتب عادة على شكل سؤال وجواب، وفي بعض الأحيان لا يكتب السؤال، وقد يذكر معها أدلتها من نصوص المذهب الذي يتبعه الفقيه المعني، أو من الكتاب أو السنة وغيرهما، دون تقيد بأدلة المذهب الواحد.[٥٠]

وأما التقنين للعلوم وخاصة الفقه: فقد ظل الفقه غير مقنن طيلة العصور الماضية حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، حيث تنبهت الدولة العثمانية ورأت الحاجة ماسة إلى تقنين أحكام المعاملات. فألفت لجنة من كبار الفقهاء برئاسة وزير العدل لاختيار أحكام المعاملات من الفقه الحنفي. وبدأت عملها في سنة ١٢٨٥ هـ، وانتهت منه في سنة ١٢٩٣ هـ، وقد تخيرت الراجح من آراء المذهب الحنفي. ثم صدر أمر الدولة بالعمل بها في شعبان سنة ١٢٩٣ هـ. وسميت بـ "مجلة الأحكام العدلية". وصارت هي القانون المدني للدولة العثمانية. وبعد هذا التقنين صدرت عدة تقنيات في مصر والعراق وتونس والمغرب وغيرها. وصدر في المملكة

(٤٧) شفاء الغرام (٦٠٧/١) مصدر سابق.

(٤٨) تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام (ص: ٦٢٢-٦٢٦).مصدر سابق.

(٤٩) طارق بن عبدالله حجاز .تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة .(ص: ٤٨٠).

(٥٠)أ. د.عبدالملك بن عبدالله بن دهيش المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم (ص: ٢٠-٢٢).مصدر سابق.

ISSN : 2410-1818

العربية السعودية كتاب "مجلة الأحكام الشرعية"، للشيخ أحمد بن عبد الله القارب." وهذا الكتاب كان جهداً شخصياً من مؤلفه، وقد قام بتحقيقه الأستاذان: د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، و: د. محمد إبراهيم أحمد علي."[٥١]

المبحث الثاني مناهج الفقه لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول تنوع مناهجه التقليدية وتطورها النظامي الأكاديمي .

المطلب الثاني مواده العلمية و الفقهية المختصة بكتبها المعتمدة المشهورة.

المطلب الثالث مراحل الدراسة بهما وطرق الترقي فيهما.

المطلب الأول: تنوع مناهجه التقليدية وتطورها النظامي الأكاديمي :

أولاً: المناهج الموسوعية التقليدية:

قال الشيخ محمد بن طاهر الكردي المكي:" نظرة تأمل في المؤلفات المدرسية قديماً وحديثاً: يمكن لنا أن نقسم الأزمان بعد انتشار العلوم والفنون من بعد الإسلام بنحو ثلاثة قرون أو خمسة إلى قسمين تقريباً:

(١) القسم الأول عهد الأئمة والعلماء الأعلام الكبار: الذين أناروا للأمة الإسلامية الكريمة طريق الهداية والرشاد فهؤلاء لهم من المؤلفات العظيمة ما لا يحصر ولا يعدّ وما زالت الامم الإسلامية بعدهم تتبع مناهجهم وتسير علي خطاهم وهذه المكتبات العامة في البلاد الاسلامية وفي البلاد الأوروبية مليئة بكتبهم ومؤلفاتهم.

أما ما قبل هذه القرون الأوائل فقد كان العلم والمعرفة والإيمان تملأ قلوبهم وكان الله تعالى يقذف في قلوبهم نور العلم والتقوي بدون حساب وبدون الاشتغال في الأسباب كما أنه لم تكن وسائل الكتابة من الأوراق والأقلام والحبر منتشرة في تلك القرون انتشارها اليوم.. وكانوا إذا قرأوا شيئاً أو سمعوا حديثاً أو قصيدة مرة واحدة حفظوه عن ظهر قلب من غير أن يغلطوا فيه بحرف واحد والحكايات في ذلك كثيرة... كما جاء في صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة في باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله تعالي عنه ما لفظه عن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يوماً (أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلي صدره فانه لم ينس شيئاً سمعه فبسطت بردة على حتي فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً) ..أن من ينظر إلى هذا الحديث الشريف يعلم علم اليقين أن الله تبارك وتعالى قد خلق لنشر هذا الدين

(٥١)أ. د.عبدالملك بن عبدالله بن دهيش المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم (ص ٢٢).

ISSN : 2410-1818

الحنيف رجالاً وفتح لهم أعين قلوبهم ونور بصائرهم وقذف في بواطنهم نور العلم والعرفان واليقين والإيمان وأمدهم بالأسرار الإلهية والكنوز الخفية الصمدانية[٥٢] .

(٢) والقسم الثاني من بعد القرون الأولى الثلاثة أو الخمسة إلى نهاية القرن الثالث عشر أي إلي سنة (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة للهجرة: في هذه القرون أيضاً نجد العلوم والفنون على ميدان أوسع وبتطورات جديدة وفي ازدهار تام بما يشفي الفؤاد وينعشها في جميع البلاد الاسلامية مع ظهور بعض المطابع والمكتبات والجرائد والصحف في القرن الأخير كما لا يخفى على المطلعين وأهل الثقافة لقد كنا نتعلم في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة منذ سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وثلاثين هجرية (١٣٣٢ هـ) في كتب مؤلفة تأتينا من مصر وهي وإن كانت كتباً مدرسية مؤلفة للطلبة والناشئين إلا أنها معدودة من الكتب القيمة القوية جداً وكان التلامذة يتلقونها بقوة وفهم مع الاخلاص العظيم في مشايخنا وأساتذتنا.

فلقد كنا نحفظ المتون في مختلف العلوم كألفية ابن مالك في النحو ومتن التصريف والأمثلة المختلفة ومنظومات في الفقه ومنظومات في الاملاء وفيما يكتب بالواو أو بالياء وكان هناك كتاب الدروس النحوية بأجزائها الثلاثة وعلم البلاغة كنا نحفظ هذه الكتب كلها غيباً كما نحفظ كتاب الترغيب والترهيب لنخبة من علماء مدرسة الفلاح وكنا نشتري كتاب مجموع المتون ونشتري كتب اللغة كمختار الصحاح وفقه اللغة وجواهر الأدب وأسلوب الحكيم والمفرد العلم والدرر البهية في علم الحساب محمد إدريس بك وكتاب الهندسة له أيضاً رحمه الله تعالى وكتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري وكتاب تاريخ الخياط وكتاب لباب الخيار في التاريخ أيضاً وكتاب التربية والآداب الشرعية وكتباً أخرى في الفقه والحديث والتفسير وعلم الفرائض وغير ذلك كل هذا ونحن تلامذة في المدارس وكان هذا شأن الطلبة سواء كانوا بمدرسة الفلاح بمكة أو بمدرسة الفلاح بجدة أو بمدارس أخرى من الحرمين الشريفين. و أول من أرسل المساعدات النقدية للحرمين وغيرهما من مدن الحجاز كما هو معروف لدى المعمرين من زملائنا وإخواننا الفضلاء أمد الله تعالى في حياتهم ووفقهم للخيرات. أول من أرسل المساعدات النقدية للحرمين قال المغازي في تاريخه وفي مرآة الحرمين: أول من أرسل صرة النقود إلى الحرمين المقتدر بالله

(٥٢) قلتُ: يُخشى عليه تأثره بالصوفية فيما يذكره من مصطلحات كهذه وغيره وضعف التحقيق في التوحيد فليتنبه. والله أعلم.

ISSN : 2410-1818

العباسي سنة (٣٢٠) ثم تبعه الأمراء والخلفاء يزيد كل منهم على سلفه ما يليق بكرم نفسه..."(٥٣).

ونخلص من هذا العرض العام في البلاد الإسلامية لمؤلفات المدارس القديمة والحديثة ، وخاصة المقامة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والتي كانت لها ارتباطاً وثيقاً بالحرمين الشريفين كما ذكره الشيخ محمد بن طاهر الكردي المكي نخلص إلى الأمور الآتية:

١ - عهد الأئمة والعلماء الأعلام الكبار. ونراه لم يُسم لهم كتبهم وإنما وصفهم بالأوصاف السابقة الرائدة. والمعني بهم الرعيل الأول وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن بعدهم من السلف.

٢ - نجد العلوم والفنون على ميدان أوسع وبتطورات جديدة وفي ازدهار تام بما يشفي الفؤاد وينعشها في جميع البلاد الاسلامية مع ظهور بعض المطابع والمكتبات والجرائد والصحف في القرن الأخير. وذكر أنموذج مدرسة الفلاح بمكة المكرمة.

٣ - ذكر في هذا القرن الأخير المواد المقررة والمحفوظات والمتون في مختلف العلوم الدينية والعربية. قلتُ: وهذا التعليم العام في البلاد الإسلامية ذات المنهجية الموسوعية في مختلف العلوم تُدرّس في اليوم الواحد عدة دروس متنوعة كان هو السائد، وكان لمكة المكرمة والمدينة المنورة النصيب الأكبر من ذلك ، ولاسيّما في الحرمين الشريفين. وقد نصّ المؤرخ الكردي على الحرمين ومكة المكرمة حيث قال:" وكان هذا شأن الطلبة سواء كانوا بمدرسة الفلاح بمكة أو بمدرسة الفلاح بجدة أو بمدارس أخرى من الحرمين الشريفين(٥٤).

٤ - وجود الدعم المالي لنشر العلم والقيام به على أهله في معاشهم مما ساعدهم على التفرغ والتحصيل والتخصص والنبوغ والإتقان.

وأما ما يخص المذهب الحنبلي في الحرمين الشريفين وفي أحدهما، فلقد كان عبر إمامة المقام الحنبلي - وهو الموجود في الجهة الجنوبية ،وهي التي بين الركن اليماني والحجر الأسود - وكذا التدريس ، وكذا الإفتاء ، وغير ذلك وكانوا من أهل نجد ، واشتهر ذلك عند الناس ، حتى أنّ أمير مكة المكرمة الشريف عون الرفيق باشا بن محمد العبدلي الحسني (١٢٥٦ -١٣٢٣هـ)(٥٥) قال بعد وفاة الشيخ ابن هدود ، وقد بحثوا عن خلف

(٥٣) محمد بن طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٦/ ٤٩-٥١).مصدر سابق.
(٥٤)محمد بن طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٦/ ٤٩-٥١).مصدر سابق.
(٥٥) خير الدين بن محمد بن فارس الزركلي الأعلام (٥/٩٧-٩٨).

ISSN : 2410-1818

له فلم يجدوا. قال:" إنّ المقام الحنبلي معطل ، من إمام ومفتٍ ، ونحن إذا أردنا إماماً ، ومفتياً ، بحثنا عنه من أهل نجد".[٥٦] وممن تولوا " المقام الحنبلي" والتدريس وإفتاء الحنابلة بمكة من أهل نجد وكلهم من علماء مدينة عُنيزة من إقليم القصيم باختصار وعلى سبيل المثال:

١ - العلامة الفقيه المؤرخ محمد بن عبد الله ابن حُميد (١٢٣٦ -١٢٩٥هـ) صاحب معلمة الحنابلة المعروفة ب " السُحب الوابلة" تولاه من عام (١٢٦٤هـ) حتى وفاته (١٢٩٥هـ).[٥٧]

٢ - ولده الشيخ الفقيه علي بن محمد ابن حميد (١٢٥٥ -١٣٠٦هـ).[٥٨]

٣ - الشيخ الفقيه خلف بن إبراهيم ابن هدهود (١٢٤٠ تقريباً - ١٣١٥هـ)[٥٩] ومكث فيها حتى وفاته ، فتكون مدة قيامه بالمهمة خمسة عشرة سنة.وكذلك القضاء فهو مبني على مراجع المذهب الحنبلي قديماً وحديثاً ، وقد صدر قرار الهيئة القضائية عدد (٣) في تاريخ (١٣٤٧/١/٧هـ) المقترن بالتصديق العالي بتاريخ (١٣٤٧/٣/٢٤هـ) بما يأتي:

١ - أن يكون مجرى القضايا ، في جميع المحاكم ، منطبقاً على المفتى به من مذهب الإمام أحمد بن حنبل...

٢ - إذا صار جريان المحاكم الشرعية على التطبيق على المفتى به من المذهب المذكور ، ووجد القضاة في تطبيقها على مسألة من مسائله مشقة ومخالفة لمصلحة العموم ، يجري النظر والبحث فيها من باقي المذاهب بما تقتضيه المصلحة ، ويقرر السير فيها على ذلك المذهب مراعاة لما ذكر.

٣ - يكون اعتماد المحاكم في سيرهم على مذهب الإمام أحمد على الكتب الآتية: شرح المنتهى ، شرح الإقناع...."[٦٠]

ومن حيث تنوع مناهج التزام الحنابلة بمذهبهم في التدريس والإفتاء والتدريس فيمكن تقسيم التزام حنابلة الجزيرة العربية وأخص هنا بلاد نجد فقد مرّ بعهدين مهمين:

العهد الأول: حنابلة نجد قبل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ويبدأ هذا العهد من ظهور المذهب الحنبلي وإبرازه في نجد والتزامه ، إلى قيام الدعوة الإمام المجدد (القرن السابع ١١٧٥هـ).

(٥٦) البسام علماء نجد (١٩٤/٦) (١٥٥/٢). مصدر سابق.
(٥٧) خير الدين بن محمد بن فارس الزركلي الأعلام (٢٤٣/٦).
(٥٨)البسام علماء نجد (٢٨١/٥) مصدر سابق.
(٥٩)البسام علماء نجد (١٥٣/٢-١٥٧) مصدر سابق
(٦٠) انظر مجموعة النظم قسم القضاء الشرعي (ص ١٤).

ISSN : 2410-1818

ومن أبرز منهجية هذا العهد أنه التزام بالمذهب الحنبلي على الطريقة التقليدية ، والتي عادة ما تكون لمن يلتزم مذهباً من المذاهب الأربعة المشهورة جملة وتفصيلاً، على أنّ ذلك ليس بإطلاق ، فلربما خرجوا عن المذهب لسبب من الأسباب ظهرت لهم. وتأمل قول العلامة السفاريني – رحمه الله – (ت ١١٨٨هـ):" عليك بما في الإقناع ، والمنتهى ، فإذا اختلفا فانظر ما يرجحه صاحب غاية المنتهى".[٦١] فهذا في النظر الفقهي للمذهب الحنبلي التقليدي ، قلتُ: وإلا فالمقدّم عند الاحتجاج ، ما وافق الدليل. وهو ما عليه أهل العهد الثاني من أهل التحقيق. العهد الثاني: حنابلة نجد بعد دعوة الإمام المجدد ، إلى يومنا هذا (١١٧٥هـ).

ومن أبرز منهجية هذا العهد هي نفس المنهجية الأولى التي سبق الكلام عنها ، وتزيد عليها العناية بطلب الدليل وترجيحه والعمل بموجبه ، والخروج عن المعتمد في كتب المتأخرين في المذهب ،إلى قول آخر ، طلباً للدليل الصحيح ، وعدم اعتبار ذلك خروجاً عن أصل المذهب. لاعتبارهم أنّ كثيراً من المسائل المعتمدة في المذهب عند المتأخرين هي في الواقع مخالفة لمنصوص أحمد رحمه الله ومذهبه، ولأنهم لا يخرجون عن أصول أحمد.

والفاصل بين العهدين، أنّ أصحاب العهد الثاني: اهتموا بالدليل ، ودعوا إليه صراحة ، وأولوه اهتماماً منهجياً في سائر أحكام الدين متأسين في ذلك ومتأثرين بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما من أهل التحقيق والترجيح والفهم الثاقب ،ولو خالف الراجح من مذهب أحمد رحمه الله.[٦٢]

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:" أكثر " الإقناع:" ، و "المنتهى" مخالف لمذهب أحمد ،ونصّه ، فضلاً عن نصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعرف ذلك من عرفه".[٦٣]

ثانياً: تطورها النظامي الأكاديمي: وهي ما عليه الآن من حلة جديدة في وقتنا الحالي بعد أن استقرت حاضرة العلم ومحضنه في الحرمين الشريفين في شتى العلوم الشرعية ومنها الفقه وعلوم الآلة بعد جهود مضنية وتجارب رصينة من قِبل القائمين عليهما وغيرهم من أهل الخبرة والكفاءة ،إلى جعلهما معهد باسم الحرمين الشريفين، وأيضا كلية الحرمين بأقسامها الثلاثة والتي هي قسم الشريعة ، وقسم القرآن وعلومه ، وقسم السنّة وعلومها. فصارت حلته الجديدة معهد الحرم المكي الشريف ،و معهد الحرم المدني ،وكلية الحرم الشريف، وكلية

(٦١) انظر الإمام الفقيه موسى الحجاوي للدكتور محمد عبدالله الشمراني (١٠٠١/٢) مصدر سابق.
(٦٢) د. عبدالله بن محمد الحوالي الشهراني الإمام الفقيه موسى الحجاوي وكتابه زاد المستقنع. رسالة دكتوراة تخصص فقه (٨٨٨٠/١)
(٦٣) ابن الغنام تاريخ نجد (ص ٢١٦) ، عبد الرحمن ابن قاسم الدرر السنية (٤٥/١).

ISSN : 2410-1818

الحرم المدني. ينتقل الطالب من المعهد بعد إكماله وتفوقه إلى الكلية عبر شروط معروفة ، ونظام مرسوم. " وتمثل دور العلماء في إنشائها، والإسهام في ذلك، والتدريس فيها، وإدارتها، وتأليف مناهجها، واستقطاب ذوي المكانة العلمية لها، والإشراف على الرسائل العلمية فيها، وتقويمها، ومناقشتها. ومن ذلك تأسيس الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣١١ -١٣٨٩)، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم (١٣١٥ -١٣٨٦)، المعاهد العلمية ثم رئاسة الكليات، وأشرفا عليها. وكان الحديث ومصطلحه يدرس في كلية الشريعة بمكة، التي أنشئت عام ١٣٦٩ وتولى إدارتها الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، ثم الشيخ عبدالله خياط. وكان للشيخين محمد بن إبراهيم (١٣١١ -١٣٨٩) وعبدالعزيز بن باز (١٣٣٠ -١٤٢٠؟) دور مميز في نشأة الجامعة الإسلامية بالمدينة وتوطيد دعائمها، ثم رئاستها، وتضم الجامعة كلية الحديث الشريف التي تهدف إلى العناية بالسنة النبوية وخدمتها والمحافظة عليها والذب عنها وتأهيل المتخصصين المتمكنين من علومها...."[٦٤]. وهؤلاء وغيرهم هم من أهل المذهب الحنبلي بعد دعوة المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب ، والذين كانت لهم علاقة وثيقة مباشرة وغير مباشرة في تدريسهم العلوم الشرعية والفقه في المسجد الحرام وفي المسجد النبوي الشريف. **أهداف كلية الحرمين:** لها أهداف كثيرة موثقة نذكر منها:

١ - عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي بدروس العلم في مختلف علوم الشريعة والعربية لتكوين طلبة علم يستطيعون النهوض بمسؤولياتهم في نقل العلم والمعرفة.

٢ - تكوين طلبة علم متخصصين في العلوم الشرعية والعربية متزودين من العلوم والمعارف بما يؤهلهم للدعوة إلى الإسلام..

٣ - ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال دون إفراط ولا تفريط...

٤ - غرس الأخلاق الإسلامية ، والآداب الشرعية وتنميتها في سلوك وعمل طلاب العلم من خلال مكثهم في المسجدين الشريفين ..وكل قسم من الأقسام الثلاثة للكلية له قراراته ومقرراته الدراسية وخططه ..إلخ. وعلى سبيل المثال والاختصار: قسم الشريعة :نشأة القسم: يمثل قسم الشريعة القسم العالي بمعهد الحرم المكي الشريف سابقا من معالي الرئيس العام (السابق) الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين رحمه الله وقد ثم معادلة شهادة خريجي هذا القسم من وزارة التعلم العالي بشهادة كلية الشريعة بجامة ام القرى وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية كما تضمنته برقية

(٦٤) د. صالح بن غانم بن عبد الله السدلان. دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (ص: ٢٣) وانظر الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ص٢١١ . ٢٢٠) .

ISSN : 2410-1818

وزير التعليم العالي رقم ٢٦٥٥٣/٢١/٢٦ وتاريخ ٠٣/٢٠/ ١٤٣١ه وعودلت بمقررات قسم الشريعة في الجامعات السودانية كما تضمنه خطاب وزير التعليم العالي بجمهورية السودان تاريخ ٠٥/٢٩/ ١٤٢٧ ه وعودلت بمناهج وخطة الدراسة بمرحلة الإجازة العالية (الليسانس) بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة قسم الشريعة الاسلامية كما أفاده خطاب عام شؤون التعليم بالأزهر بتاريخ ٢٠٠٤/٠٧/١٨م وعودلت بالإجازة في الدراسات الأساسية تخصص الشريعة الاسلامية بجامعة المملكة المغربية تضمنه قرار وزير التعليم والبحث العلمي و تكوين الاطر بالمملكة المغربية رقم (١٧٤٤/١٢) الصادر في ٢٨ من جماد الأولى ١٤٣٣هـ.[٦٥] ومقرراته الفقهية هي: - كتب الفقه - القواعد الفقهية -الفقه المقارن -: ومنها:

١ - آيات الأحكام.
٢ - أحاديث الأحكام.
٣ - المواريث.

ومقررات قسم القرآن وعلومه المختصة بالفقه هي:

١ - فقه العبادات.
٢ - آيات أحكام العبادات.
٣ - فقه المعاملات.
٤ - فقه الأحوال الشخصية.
٥ - آيات أحكام المعاملات.
٦ - المواريث.
٧ - فقه الأطعمة والأيمان والنذور.

ومقررات قسم السنّة وعلومها المختصة بالفقه هي:

١ - فقه العبادات.
٢ - أحاديث أحكام العبادات.
٣ - فقه المعاملات.
٤ - فقه الأحوال الشخصية.
٥ - أحاديث أحكام المعاملات.

(٦٥) كلية الحرم المكي الشريف دليل الطالب إصدار ١٤٣٧-١٤٣٨هـ.

ISSN : 2410-1818

٦ - فقه الأطعمة والأيمان والنذور.

٧ - المواريث.

ثم أنشأ بكلية المسجد النبوي برنامج تمكين لطلاب العلم النابغين وله أربع سنوات والآن دخل في سنته الخامسة. هذا البرنامج لمدة سنة في كل دبلوم. ويُعطى الطالب في كل سنة شهادة دبلوم بعد البكلاريوس. وقد بدأ برنامج تمكين سنة ١٤٣٦ -١٤٣٧ ، وعدد الدفعات أربعة والآن الدفعة الخامسة في اللغة العربية. والكتب التي دُرست هي:

١ - سلم الوصول في العقيدة.

٢ - العقيدة الطحاوية.

٣ - ذات الشفا في السيرة النبوية.

٤ - ألفية ابن مالك في النحو والصرف.

٥ - الجوهر المكنون في البلاغة.

٦ - مئة المعاني في البلاغة.

٧ - لا مية الأفعال في الصرف.

٨ - مرتقى الوصول في الفقه.

٩ - الفرائد البهية في القواعد الفقهية [٦٦].

وقد تمّ إنشاء قسم في المسجد الحرام والمسجد النبوي لحفظ كثير من المتون خلال عدة سنوات ويضمّ العديد من الطلاّب الصغار والكبار طوال العالم. وقد قُسّمت هذه المتون إلى مستوى تمهيدي وبعده خمسة مستويات جمعها ورتّبها الشيخ الدكتور عبد المحسن بن محمد القاسم إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف وسمّاها متون طالب العلم محققة على (١٢٠) مخطوطة. وهي كالآتي: -

تمهيدي باسم الأذكار والآداب.

المستوى الأول:

١ - نواقض الإسلام

٢ - القواعد الأربع

٣ - الاصول الثلاثة وادلتها

٤ - الأربعون النووية .

(٦٦) انظر موقع كلية المسجد النبوي. برنامج تمكين.

ISSN : 2410-1818

المستوى الثاني:

١ - تحفة الاطفال

٢ - شروط الصلاة واركانها وواجباتها

٣ - كتاب التوحيد

المستوى الثالث :

١ - منظومة البيقوني.

٢ - قصيدة أبي اسحاق الإلبيري .

٣ - المقدمة الأجرومية.

٤ - العقيدة الواسطية.

المستوى الرابع :

١ - الورقات.

٢ - عُنوان الحِكَم.

٣ - بغية الباحث عن جمل الموارث (الرحبية).

٤ - العقيدة الطحاوية.

المستوى الخامس:

١ - بلوغ المرام .

٢ - زاد المستقنع في اختصار المقنع.

٣ - الخلاصة في النحو (ألفية ابن مالك).

وقد بلغت ثمانية عشرة (١٨) متناً، راعى فيها المحقق الشيخ الدكتور عبد المحسن القاسم – حفظه الله تعالى - التدرج في الحفظ مع تنوع المتون[٦٧].

وهي أيضاً على نفس المنهجية الموسوعية التقليدية حيث تُدرّس في اليوم الواحد عدة دروس متنوعة العلوم ومختلفة التخصص بما فيها الفقه وأصوله والقواعد الفقهية المذهبية وغيرها من الفقه المقارن المعاصر بوسائل حديثة وأساليب عصرية حديثة.

(٦٧) انظر موقع كلية المسجد النبوي.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: مواده العلمية والفقهية المختصة بكتبها المعتمدة المشهورة:

لقد مر معنا عند الحديث على مراحل نشأة الفقه وتطوره وخاصة عند ظهور المذاهب الأربعة الفقهية أنّ كل واحد منها كان يُدرّس مذهبه في الحرمين الشريفين ، وكان الأغلب لمن كان حكّامه وعلماءه للحر مين الشريفين ممن يتبع مذهباً معيناً. ففي المدينة كان الأغلب للمذهب المالكي ، ومكة للشافعية ، وفي عهد الأتراك كان المذهب الحنفي سائداً في الحرمين، واستقر الأغلب للمذهب الحنبلي في المملكة العربية السعودية متأخراً وانتشر وساد حتى الآن، مع اعتماد الترجيحات للدليل ولو خالف المذهب وعدم التعصب له عند المحققين من أهل العلم منهم بعد استقرار دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وأنصاره.

وقال الشيخ محمد بن طاهر الكردي:" أما تعليم العلوم الدينية والعربية من التفسير والحديث ، والفقه على المذاهب الأربعة ، وعلوم البلاغة والنحو والصرف وغير ذلك ،فقد كان المسجد الحرام هو محط الآمال في ذلك ، ومنبع العلوم والعرفان".[٦٨]

وأما مواد ومقررات المذهب الحنبلي وتدريسها من متون وشروحاتها ومختصرات ومطولات وغير ذلك فقد قال أحد أركان المذهب الحنبلي في عصره الشيخ العلامة عبد القادر بن أحمد البدراني المعروف بابن بدران رحمه الله تعالى:" لمّا كان مذهب إمام أهل السنّة ، وقامع البدعة ، الإمام أحمد بن حنبل ، العربي الأصل ، قد كان ظلّه يتقلص ، من بلادنا" السورية" ، مع أنه هو المذهب المبني على الدليل ، الخالي عن الرأي ، والتأويل قام بنصرته ، أمراء جزيرة العرب ، وذوو اليسار منهم ، قياماً لم يسبق له نظير، منذ أعصار، فأنفقوا الأموال الطائلة ، في نشر كتبه المطولة وطبعها ، ك:" شرحي الإقناع والمنتهى والمقنع وكتاب المغني وشرح المقنع الكبير المسمى ب الشافي و الفروع .وأمثال هذه الكتب، فلبسَ هذا المذهب بذلك في عصرنا ، ثوباً فشيباً ، وفُتح الباب للاجتهاد فيه فتحاً عجيباً ، وعلم المهرة من أصحابه كيف تؤخذ الأحكام من الكتاب والسنّة ، وكيف تستنبط الفروع من الأصول ، وحصّل الناظر في " المغني" و " الشافي" و " الفروع" علماً بمسالك المذاهب المتداولة ، والمندرسة ، وبمسائلها .فهبّ المتمذهبون به في ديارنا من رقدتهم ، وحصل لهم بعض انتباه".[٦٩]

ومن أهم كتب الحنابلة عند المتأخرين في الجزيرة العربية وخاصة في نجد ومنها انتشر واعتمد تدريسه في الحرمين الشريفين عبر القرون وحتى وقتنا الحالي ومازال مستمراً التدريس به هو كتاب: " زاد المستقنع في اختصار المقنع" للإمام الفقيه موسى بن أحمد ،أبي

(٦٨) محمد بن طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٥٢٢/٥).مصدر سابق.
(٦٩) أخصر المختصرات (ص ٧٥-٧٦).

ISSN : 2410-1818

النجا، شرف الدين ، الحجّاوي ، المقدسي ، المولود سنة (٨٩٥هـ) ، والمتوفى سنة (٩٦٨هـ). اختصر به كتاب " المقنع" للإمام أبي عبد الله بن أحمد ، أبي محمد ، ابن قدامة ، موفق الدين ، المقدسي ، الحنبلي، رحمه الله (٥٤١ - ٦٢٠هـ).وقد بيّن منهجه في افتتاحية كتابه حيث قال الحجاوي:" هذا مختصر في الفقه من " مقنع" الإمام الموفق أبي محمد. على قول واحد ، وهو الراجح في مذهب أحمد. وربما حذفت منه مسائل نادرة الوقوع. وزدتُ ما على مثله يُعتمد.". وقال الزركلي:" اختصره بتصرف".[٧٠]

فقد اهتم أهل العلم بهذا الكتاب قديماً وحديثاً : قراءة وإقراءً وحفظاً وتلقيناً وشرحاً ، ووضعوا عليه الزوائد ونظموه.

وممن وضع حاشية ل"زاد المستقنع في اختصار المقنع" الشيخ الفقيه المدرّس بالمسجد الحرام المؤرخ : علي بن محمد بن عبد العزيز الهندي ، الحائلي مولداً، ثم المكي سكناً، الحنبلي مذهباً. ولد سنة ١٣٣٠ ورحل إلى مكة وعمره عشرون سنة ودرس ودرّس في المسجد الحرام إلى أن توفي سنة ١٤١٩هـ. عن عمر قارب التسعين سنة رحمه الله رحمة واسعة. فقد صدر أمر ملكي سنة (١٤٠٢هـ) وذلك عن طريق رئاسة الحرمين الشريفين ، بالتدريس له في المسجد الحرام ، بعد المغرب في كل ليلة، واستمر على ذلك سنوات إلى أنى توفي بعد مرض طويل. وكانت دروسه بعد صلاة المغرب، وفيها أتمّ شرح الكتب الستّة ، وأحياناً يقرأ عليه بعض الطلبة قبيل صلاة العشاء ، شرح منتهى الإرادات للبهوتي ، وعمدة الفقه لابن قدامة ،ويعلق عليهما. وفي سنة (١٣٦٣هـ) عُيّن مدير المعارف ، ومدرساً للفقه والتوحيد بالمعهد العلمي السعودي.[٧١]T

وكتاب الزاد أيضاً مادة مقررة على المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وكان اعتماده مقرراً رسمياً لطلاب المعاهد منذ تأسيسها سنة (١٣٧١هـ) على يد سماحة الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ، الرئيس العام للرئاسة العامة للمعاهد والكليات.[٧٢] وألزم الطلاب – وقتها - بحفظ هذا المتن العلمي المختصر.

وشرحه:" الروض المربع" و حاشيته لابن قاسم النجدي ، مقرران على طلاب كلية الشريعة من الجامعة نفسها.

(٧٠) الزركلي الأعلام (٣٢٠/٧). مصدر سابق.

(٧١) انظر موقع الشيخ علي الهندي على الإنترنت. وانظر د. عبد الله بن محمد الشمراني الإمام الفقيه موسى الحجاوي (٦٤٩/١)

(٧٢) انظر السلسبيل في معرفة الدليل (٩/١-١٠).

ISSN : 2410-1818

وهو أساس في الدورات العلمية في مساجد السعودية حرسها الله تعالى.[٧٣] وممن شرح الزاد العلامة محمد بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله عضو هيئة كبار العلماء ، والمدرّس بالمسجد النبوي الشريف بأشرطة صوتية ، ثم قامت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بتكليف من يقوم بنسخ شرح الشيخ الشنقيطي ، ومن ثَمّ طبعه ونشره بعد مراجعتها من الشارح ، وتمّ طبع المجلد الأول من الشرح ، وهي النسخة الموثوقة.ومن الحواشي والتعليقات عليه كتاب " الإرشاد إلى توضيح مسائل الزاد" مطبوع للشيخين صالح بن إبراهيم البليهي ، وصالح بن فوزان الفوزان. وهو منهج دراسي للمعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. قُسّم بين فقيهين حنبليين ، فكان توضيح قسم العبادات مع كتاب الجهاد ، من نصيب الفقيه الأول ، وهو مقرر المرحلة المتوسطة في المعاهد المذكورة، وباقي الكتاب من نصيب الفقيه الثاني ، وهو مقرر المرحلة الثانوية ، وقد اعتنت الجامعة نفسها بطبعه وتوزيعه على الطلاب مجاناً.[٧٤]

ومن أبرز المواد التعليمية الحديثة والفقهية والعقدية في الحرمين الشريفين المواد الآتية باختصار:

موطأ الإمام مالك ، وكتب السنن الستة ، كتب التوحيد: قال الشيخ محمد طاهر الكردي: " وإليك نبذة مختصرة فيها ذكر بعض الحلق في المساجد، ففي المسجد الحرام درس الشيخ سليمان بن حمدان على امتداد اثنين وثلاثين عاماً في الحديث وغيره.. ، وكان الشيخ عمر بن حمدان المحرسي (١٢٩٢ -١٣٦٨) يدرس في المسجد الحرام بالشتاء، وفي المسجد النبوي في الصيف، وختم الكتب الستة ومستدرك الحاكم ومجمع الزوائد والشمائل للترمذي والشفاء للقاضي عياض. وفي المسجد النبوي كان الشيخ محمد بن إبراهيم بن سعد الله الختني (١٣١٤ -١٣٨٩) يدرس موطأ مالك ومشكاة المصابيح ..، وكان للشيخ حماد الأنصاري (١٣٤٤ -١٤١٨) فيه حلقة في علم الحديث وما يتصل به من علوم ومما درسه فيه الموطأ وجامع الترمذي والتوحيد لابن خزيمة، وشرح الشيخ محمد المختار بن محمد سيد الأمين الشنقيطي (١٣٣٧ -١٤٠٥) صحيح البخاري في المسجد النبوي خمس مرات، وصحيح مسلم أربع مرات، والموطأ أربع مرات.. "[٧٥]" وألف الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين مقرر الحديث للقسم المتوسط بالمعاهد العلمية، وهو كتاب تنبيه ذوي الأفهام شرح عمدة الأحكام

(٧٣) انظر الدليل إلى المتون العلمية (ص٤٤٢-٤٥١). نقلاً عن رسالة الدكتوراة الإمام موسى الحجاوي للدكتور الشمراني (٦٤١/١)
(٧٤) د. عبد الله بن محمد الشمراني الإمام الفقيه موسى الحجاوي (٦٤٩/١-٦٥٠) مصدر سابق.
(٧٥) د. صالح بن غانم بن عبد الله السدلان دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية (ص: ٢٠-٢٢) وانظر مقدمة الدرر المبتكرات (١ / ٣٧.٤٢) .علماء نجد خلال ثمانية أعوام (٤/ ٣٤٥).

ISSN : 2410-1818

للشيخ محمد بن عثيمين، وكتاب تيسير العلام بشرح عمدة الأحكام للشيخ عبدالله بن بسام (١٣٤٦ -١٤٢٣) مقرر على المرحلة الثانوية بالمعاهد العلمية."(٧٦).

المطلب الثالث: مراحل الدراسة بهما وطرق الترقي فيهما:

بالنسبة لمراحل الدراسة في الحرمين الشريفين فقد كانت في السابق على شكل حلقات تدريسية لجميع المواد الشرعية بالطريقة التقليدية السهلة ، يختار الشيخ المدرس: كتاباً ويدرسه لمن حضر في حلقته وخاصة طلبته ، يكون ذلك في سائر الأيام في الغالب ، وتكون من بعد الصلوات وخاصة بعد المغرب إلى بعد صلاة العشاء ، حتى يتمّ الشيخ إكمال الكتاب المُدرّس فيبدأ في غيره ، وأحياناً يعيد دراسته مرة ثانية. وقد يستمر في تدريسه الكتاب سنة واحدة أو أكثر من ذلك بحسبه. وليس تدريس مادة الفقه ببعيد عن هذه الطريقة. و كان يطلق على مراحل الدراسة منذ العهد التركي إلى العصر الحديث هذه الألقاب التالية:" من المطالعة العربية بعض العادات في المدارس سابقاً نذكر هنا ما جرت عليه المدارس من إطلاق بعض الأسماء منذ العهد التركي إلى اليوم فقد كانوا يطلقون على الفصول الصف ثم الصنف ثم تغير هذا فصاروا يقولون الأن الفصل مثلاً فصل " أ " وفصل " ب " وفصل " ج " وكانوا يطلقون على سنوات الدراسة هكذا السنة الأولى والسنة الثانية والسنة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة وهلم جراً والان يطلقون على مراحل التعليم كما يأتي المرحلة الابتدائية ومراحلها ست سنوات والثانوية مثلها والعالية ولها سنوات مقررة ثم كانوا يطلقون على المدرس هذه الألقاب " خوجة " وهي لفظة تركية معناها المدرس ثم صاروا يقولون عليه "معلم " ثم صاروا يقولون " شيخ " ثم صاروا يقولون " مدرس " ثم الآن يقولون " أستاذ " وهكذا سرى تجديد الألقاب حتى على المدرسين. والله تعالى أعلم"[٧٧]

وأما عن عدد الطلاب في السابق فهو ما بين الأربعين طالباً ويصل إلى المئة فقد قال الشيخ محمد بن طاهر الكردي:" ولا يقلّ طلاب كل حلقة من الدروس عن أربعين طالباً ،وبعض الحلقات يبلغ طلابها مئة نفس."[٧٨] وأما في وقتنا المعاصر فيصل عدد الطلاب إلى أضعاف مضاعفة مما ذُكر سابقاً.

(٧٦)د. صالح بن غانم بن عبد الله السدلان دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية د. (ص: ٢٥-٢٦) وانظر موسوعة أسبار (٢ / ٨٧٧).علماء ومفكرون عرفتهم (٣/ ٢٥٤. ٢٥٥).

(٧٧) محمد بن طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٦/ ٣٧-٣٨).مصدر سابق.

(٧٨) محمد بن طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٥٢٢/٥).مصدر سابق.

ISSN : 2410-1818

وأما عن طرق الترقي في التعليم ومراحله العامة في مكة فهي كما ذكر الشيخ الكردي المكي حيث قال:

" خلاصة الكلام على التعليم بمكة المكرمة ومما تقدم يتخلص الكلام على التعليم بمكة المشرفة في أنه مرت عليه ثلاث حالات:

الأولى: من بعد سنة (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة هجرية كان قليل من الناس يعرفون القراءة والكتابة.

والثانية من بعد سنة (١٣٢٠) أي من بعد تأسيس المدرسة الصولتية ومدرسة الفلاح بمكة وجدة انتشر التعليم أكثر من قبل ولم يكن أحد يعرف اللغات الافرنجية كالإنكيزية والفرنسية ونحوهما لكنهم كانوا يعرفون اللغة التركية لتدريسها في بعض المدارس كالمدرسة الرشدية بمكة.

والثالثة من بعد سنة (١٣٥٥) ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين هجرية إلى وقتنا الحاضر أي في العهد السعودي:

فالتعليم انتشر في جميع البلاد والمملكة وكثرت المدارس كثرة فائقة وتطورت امور التعليم تطوراً عجيباً في جميع مراحله وتقرر تدريس اللغات الافرنجية في جميع المدارس رسمياً حكومية كانت أو أهلية فصار الناس يتكلمون الإنكليزية والفرنسية وغيرهما بطلاقة ومهارة يكلمونها ويكتبونها ويقرؤونها فهذه ثلاث حالات مرت على أمور التعليم بمكة المكرمة من بعد سنة (١٣٠٠) هجرية إلى وقتنا هذا. أما ما قبل هذا التاريخ فقد كان التعليم في مكة في المسجد الحرام وفي كتاتيب الصبيان وفي حالة غير منظمة كالتعليم في بقية البلاد."[٧٩] وهنا كلامه واضح عن التعليم العام الديني وغيره ، والذي يهمنا كلامه عن التعليم في مكة المتعلق بالمسجد الحرام. إذن كان التعليم في الحرم المكي قبل عام (١٣٠٠هـ) على شكل حلقات ودروس تقليدية وكان في كتاتيب الصبيان في حالة غير منظمة. "كان المسجد الحرام مركز الطلاب العلوم والفنون من قديم الأزمان فإذا أتقن الصبي القراءة والكتابة وحفظ بعض المتون تقدم للدرس في حلقات العلم بالمسجد الحرام أو التحق ببعض المدارس التي بنيت حول المسجد الحرام لطلب العلم على المذاهب الاربعة التي بنتها السلاطين والملوك وخصصوا لطلبتها ومدرسيها أوقافاً سنوية ورواتب شهرية.. ."[٨٠] ثم تطور كما قال

(٧٩) محمد بن طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٦/ ٢٧) مصدر سابق.

(٨٠) محمد بن طاهر الكردي التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٦/ ٣٢-٣٤). مصدر سابق.

ISSN : 2410-1818

الشيخ كامل القصاب مدير إدارة تعليم الحجاز عام ١٩٢٨م :عن التعليم وتطويره والرقي فيه في عهد الملك عبدالعزيز في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها:

" وفي المسجد الحرام بمكة عشرة مدرسين تابعين للمعارف يتقاضى كل منهم راتباً كافياً وهم يلقون الدروس على الطلاب بشكل حلقات فيدرسون في الصباح التوحيد والتفسير والحديث وفروع الفقه وأصوله على المذاهب الأربعة، ويدرسون بعد الظهر العلوم العربية من نحو وصرف وغيره، ويعظون الناس من بعد صلاة المغرب إلى العشاء. وفي الحرم المدني أيضاً مدرسون كهؤلاء ..وأصلحت في العام الماضي دور المدارس والكتاتيب وأنشئت إنشاءً جديداً لتكون مطابقة للنظام الصحي الحديث، ويجلس التلاميذ اليوم على مقاعد خشبية بدلاً من تلك الحصر البالية والشروط الصحية مستوفاة في الدور الجديدة."(٨١)

وفي الوقت الحاضر تطور أكثر بحسب الواقع المعاصر:" .. وفي الوقت الحاضر اهتمام ملحوظ بالعلم في ساير أبوابه ولاسيما الفقه الإسلامي العام في أوساط التعليم الجامعي، ودراسة الفقه الإسلامي دراسة مقارنة والتخصص فيه، وإظهار مزاياه وخصائصه، وكثرة التأليف في مباحثه. فهناك نهضة حقيقية يعيشها الفقه بكثرة الدارسين والباحثين في جوانبه المختلفة، وازدياد التأليف والبحث للتراث الفقهي الذي كان إلى وقت قريب في ظلام المكتبات الخاصة أو العامة. كما صدرت حالياً من بعض الهيئات المهتمة بالفقه بعض الكتب التي تخص ما استجد من قضايا فقهية تمس واقع المسلمين الآن"[(٨٢)].

ويمكن القول بأنّ التعليم في الحرمين كان تعليماً تقليدياً بسيطاً في دوره ومحضنه ووسائله ومنشئه وكانت المواد الفقهية وسيما كتب المذهب الحنبلي - ككتاب المغني وشرح الزاد والروض المربع وحاشية الزاد..إلخ - لها صدارتها في التدريس في الحرمين الشريفين تُعطى حقها من الدراسة والتحقيق بصورة منهجية متقنة ، وكان الفقه مؤثراً فعّالاً رغم شحة إمكاناته الشكلية المادية والعمرانية. وكانت الدروس مكثفة في سائر اليوم تشتمل على عدة علوم شرعية مختلفة الأنواع والأقسام تُدرّس بمنهجية موسوعية. ثم ترقّىّ إلى كتاتيب ، ثم مدارس ، ثم أربطة ، ثم معاهد ، ثم كلية تحتوي على ثلاثة أقسام وهي:

١ - قسم الشريعة.

٢ - قشم القرآن الكريم وعلومه.

٣ - قسم السنّة وعلومها.

(٨١)عبد الكريم السمك الحياة التعليمية في الحجاز بين عهدين مجلة الشرق الأدنى القاهرة السنة الأولى ص ٣١ مادة الحجاز.

(٨٢) أ. د. عبدالملك بن دهيش .المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم (ص:٢٣-٢٥) مصدر سابق.

ISSN : 2410-1818

٤ - ثم دبلوم بعد الكلية لمدة سنة واحدة لكل دبلوم. وهذا خاص بالمسجد النبوي الشريف حتى الآن.

وفق نظام جامعي مرسوم ومضبوط بوقت محدد عبر سنوات منتظمة يحتوي على أربعة سنوات لكل بكلاريوس ، بمناهج واضحة معلومة ، يشرف عليها من يقومون بها من مختصين علماء ودكاترة وأساتذة وإداريين ...إلخ.

وكانت المواد الفقهية وسيما كتب المذهب الحنبلي لها صدارتها في التدريس في الحرمين الشريفين ، ولكنها في وقتنا الحاضر قليلة ولم تُعطَ حقها من الدراسة والتحقيق بصورة منهجية متقنة ، بحيث ينبغ الطالب في المذهب الحنبلي ويتقنه حفظاً وفهماً وشرحاً وتأليفاً. إذن فلا مشكلة في الجانب العمراني لأنه من أحسن ما يكون عليه الآن ، ولا من الجانب المالي لأنه متوفر ويسدّ الحاجات ، ولا من الناحية البشرية فالمتقدمون أعداد كُثُر ، ولكنّ المشكلة في التحصيل العلمي بشقيه الحفظ والإتقان ، وأيضاً من ناحية العمل والدعوة ، ومن ناحية الأخلاق والآداب ..إلخ.

فهذه الجوانب بحاجة ماسة إلى مزيد إصلاح فيها – والأصل أنها موجودة ومتوفرة في المشايخ والدكاترة والطلاب - ،فالعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

ونخلص بعد هذا الكمّ من المعلومات والتي هي موجزة ومختصرة بالنسبة إلى عنوان هذا البحث ، إلى أهم ما ذُكِر فيه وأبرز ما حُكِي فيه من أمور بصياغة يسيرة ومختصرة ،وهي كالآتي:

١- بيان المقصد من المنهج الفقهي لعلماء الحرمين الشريفين وذلك بالتعريف به لغة واصطلاحاً.

٢- أهمية مكانة الحرمين الشريفين كحاضرة أولى ومحضن أساسي في العلم النافع المفيد الموسوعي وخاصة الفقه والحديث والعقيدة وأصول الفقه ومصطلح الحديث وعلوم اللغة والنحو والبلاغة.. الخ.

٣- كانت بدايات العلم والفقه هو نصوص الكتاب والسنّة في العهد النبوي الشريف ،ثم كان التفسير والفقه في عهد الصحابي عبدالله بن عباس ومدرسته ،ثم كان دور فقهاء المدينة السبعة ،ثم كان دور الإمام مالك وموطئه ومذهبه ، ثم الشافعي ومذهبه وتأليفه الرسالة في مكة ، ثم كان دور مذهب الحنفية وتدريس كتبهم ونشرها ،ثم أحمد بن حنبل وأتباعه في نجد ، واستقراره حتى وقتنا الحالي في الحرمين الشريفين خاصة وفي المملكة العربية السعودية عامة.

٤- وقد تمثّل المنهج الفقهي العام لعلماء المسجد الحرام والمسجد النبوي في كونه منهجاً موسوعياً في جميع العلوم الشرعية وعلوم الآلة ومنها الفقه المذهبي على المذاهب الأربعة، و حتى في دراستهم كتب مذهبهم الفقهي الحنبلي لا يتعصبون له بل يتبعون الراجح من المذاهب حسب اجتهاد المحققين منهم في الغالب إذ لا معصوم إلا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

٥- مراحل نمو وازدهار الفقه في الحرمين وهو الأغلب والمستقر عبر التاريخ ، ومر عليه مرحلة ضعف وركود وذلك بحسب قوة من يحكمه ويقيم عليه، وعاد إلى ازدهاره وتفوقه إلى يومنا هذا بحسب أحسن ما يمكن الحصول عليه في يومنا هذا مقارنة مع غيره من حواضر العلم ومحاضنه في العالم الإسلامي.

٦- كان في السابق لحاضرة العلم والفقه ومحضنه في الحرمين الشريفين مشايخه المتقنين أهل الكفاءة العلمية والنظرية والعملية الفذة ولاسيما في الفقه على المذاهب الأربعة كلها تُدرّس وتعلّم وفي الآونة الأخيرة كان الحظ الأوفر للمذهب الحنبلي. وهم

ISSN : 2410-1818

قلّة على عدل و ورع وزهد وفقر يعيشون ، وكذلك كان حال طلاّبهم في الزمن القرون الأولى المفضلة ومن بعهدهم.

٧- وكان منهجهم في تعليم العلم والفقه تعليماً موسوعياً فذاً ،يتناول العالم المادة المقررة في التدريس بالشرح الموسوعي المتكامل ، ولاسيّما في الفقه الحديثي والفقه المذهبي وأخص هنا المذهب الحنبلي.

٨- تطور من جاء بعدهم قليلاً ولكنهم كانوا على منهج السلف الصالح يعلّمون ويدرّسون ويأّلفون ،أتاحت لهم فرص رغد العيش النسبي من خلال الأوقاف والرواتب والمساعدات ، وتحسنت دور العلم وبرامجه وأنشطته أكثر فأكثر، فاستفادوا منها وسخروها فيما هم عليه من علم وعمل ودعوة.

٩- كان أعداد الطلاب قليلة في القرون المتأخرة في مرحلة الكتاتيب والمدارس والأربطة ، التي بُنيت في الحرمين الشريفين أو القريبة منهما، أو التابعة لهما من حيث تعلمين الطلاب فيها وسكنهم، يصل عددهم ما بين ٤٠ - ١٠٠ طالب.

١٠- الآن في عهد المعهد والكلية بأقسامها الثلاثة: قسم الشريعة - قسم القرآن وعلومه - قسم السنّة وعلومها - كثُر عدد الطلاب بالمئات ،وكثُر عدد المشايخ الدكاترة بالعشرات ، وكثُرت الإمكانات المالية والتقنية الحديثة ،وكثُرت البرامج العلمية والفقهية المذهبية والفقه المقارن والدعوية في الحرمين الشريفين ،مما يمكن القول أنّه الأول الرائد في العالم الإسلامي لحاضرة العلم ومحضنه، ومن تفوق عليه فإنما تفوقه نسبي جزئي ، واللّه أعلم.

١١- وكل شيء إذا ما تمّ نقصانُ. ضعُفت الهمم ، وضعُف الحفظ ،وقلّ العلم والعمل في سائر الحواضر العلمية والدعوية والفقهية ومحاضنه في العالم كله إلا ما رحم ربي ، ولهذا أسبابه ومظاهره وحيثيّاته المعلومة. ونال حاضرة العلم ومحضنه في الحرمين الشريفين نصيبه المشاهد والملاحظ ولاسيّما في المواد الفقهية ومتونها وشروحاتها ومختصراتها.

ISSN : 2410-1818

التوصيات:

١- لابد من الحفاظ على حاضرة العلم والفقه ومحضنه في الحرمين الشريفين ، وبذل كل ما يساعد على تفوقه وإبراز معالمه ومشايخه وأساتذته ودكاترته ، وبعده عن كل ما يبعده عن منشأه الأول ، وسيرته المثالية الواقعية المتكاملة القائمة على منهج الوسطية الحقة وفق فهم السلف الصالح والعلماء الربانيين لا الوسطية المزعومة التي يُدندن حولها من ليس منها في شيء، واستقلاله عن التسييس وإقحامه فيه ، من غير هدىً ولا برهان شرعي.

٢- لابد من الاعتناء بالفقه والفقهاء والمتفقهين ، وإعطائهم الفرص الكافية لبلوغهم المرتبة الفقهية التي تليق بهم ،وشغلهم بأعمال الفتوى والقضاء ، والاستفادة منهم في البحوثات المستجدة المعاصرة.

٣- التركيز على مادة الفقه من حيث التخصص فيها سواء كان ذلك من خلال كتب المذهب الحنبلي ،وكذلك من خلال كتب الفقه المقارن ، وكذلك من خلال كتب الرسائل العلمية.. إلخ.

المصادر والمراجع:

١ - أحمد بن فارس بن زكريا ،معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر١٣٩٩هـ.

٢ - أحمد بن علي الخطيب البغدادي. الاحتجاج بالشافعي المحقق: خليل إبراهيم ملا خاطر الناشر: المكتبة الأثرية – باكستان.

٣ - أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٤ - أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم. أصل هذا الكتاب أحد الأبحاث التي قدمت لنيل درجة الأستاذية في الشريعة الإسلامية. دار خضر للنشر والتوزيع الطبعة الأولى. ١٤٢١ هـ .

٥ - أ. د صالح بن غانم بن عبد الله بن سليمان بن علي السدلان. دور علماء المملكة في خدمة السنة والسيرة النبوية الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

ISSN : 2410-1818

٦ - الدكتور صلاح محمد أبو الحاج أصلها رسالة ماجستير قدمت للجامعة الإسلامية في بغداد في سنة ١٩٩٩م .المنهج الفقهي للإمام اللكنوي .

٧ - الدكتور عبد الله بن محمد الحوالي الشمراني رسالة دكتوراة .الإمام الفقيه موسى الحجاوي وكتابه زاد المستقنع مجلدان مدار الوطن للنشر. إصدارات موقع المقنع (٣).

٨ - علي بن محمد بن علي الجرجاني .كتاب التعريفات. ضبطه وصححه جماعة من العلماء الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ .

٩ - علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، عز الدين ابن الأثير. أسد الغابة في معرفة الصحابة. المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية.

١٠ - عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي. الدارس في تاريخ المدارس المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ.

١١ - عياض بن موسى بن عياض المعروف بالقاضي. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. تحقيق البجاوي.

١٢ - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. المحقق: محمد علي النجار. الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١٣ - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري صحيح البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤ - محمد بن أحمد بن علي، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.

١٥ - محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي المعروف بالصباغ تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام. دراسة وتحقيق أ. د / عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ١٤٢٤هـ.

١٦ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة الناشر: الكتب العلميه، بيروت –لبنان الطبعة: الاولى ١٤١٤هـ.

١٧ - محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار دراسة وتحقيق: علي عمر الناشر: مكتبة الثقافة الدينية .الطبعة الأولى.

ISSN : 2410-1818

١٨ - المستدرك على الصحيحين للحاكم المحقق : أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي دار النشر : دار الحرمين البلد : القاهرة – مصر سنة الطبع : ١٤١٧هـ .

١٩ - محمد طاهر الكردي المكي. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم الناشر: طبع على نفقه معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش يطلب من مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، و دار خضر للطباعة بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٠ - مناع القطان مباحث في علوم القرآن دار النشر : مكتبة وهبة البلد : القاهرة .الطبعة : السابعة.